www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com
محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الثالثة | 1 كانون الاول 2016

زيتون

العدد :144

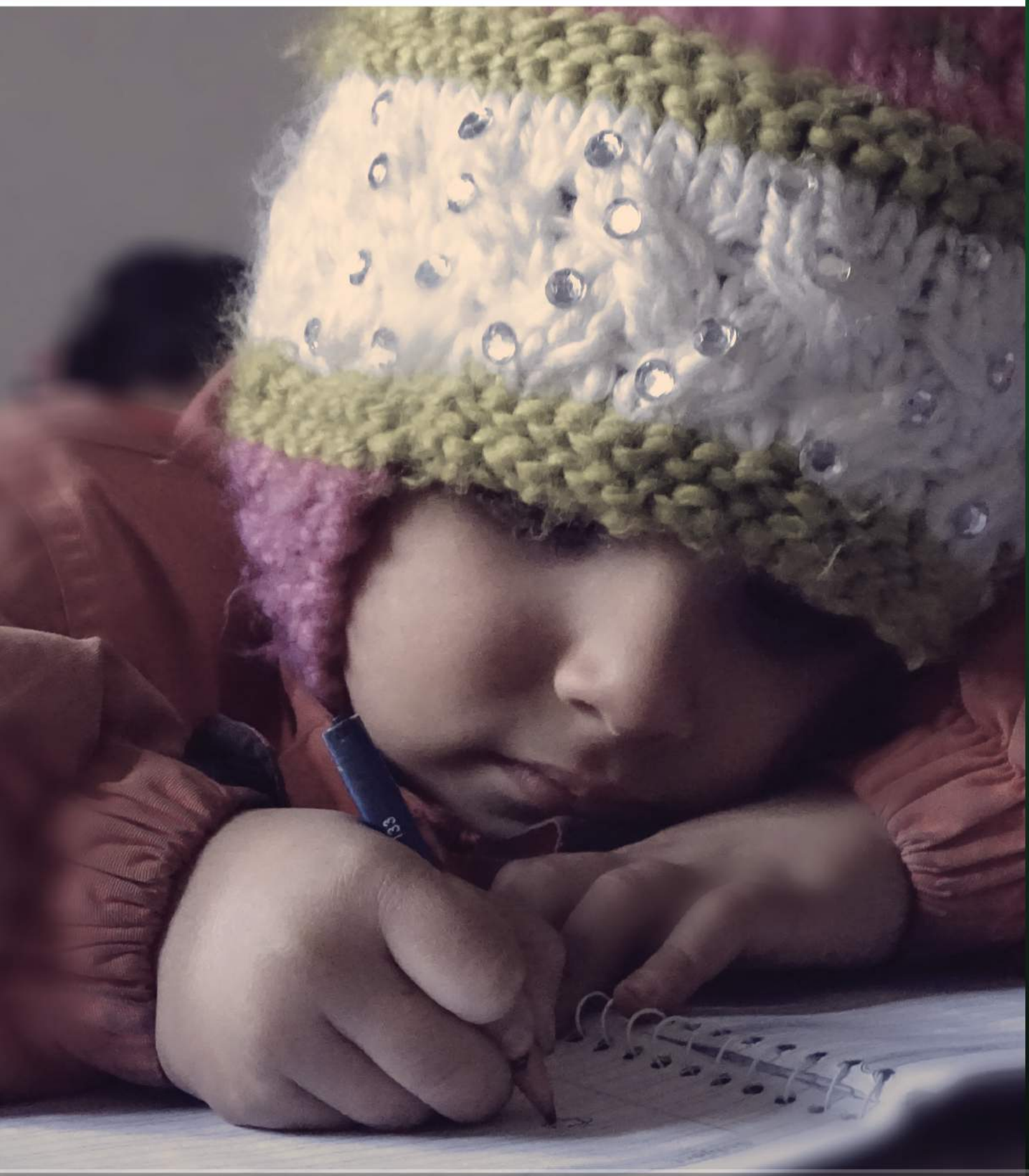

في الحصة الثالثة
سقط الصاروخ الثاني..

"زيتون" توثّق الغارات الجوية على إدلب وريفها خلال النصف الثاني من شهر تشرين الثاني

خاص زيتون

وثّقت «زيتون» مجمل ما تعرّضت له محافظة إدلب خلال النصف الثاني من شهر تشرين الثاني، وذلك بعد الإعلان عن الحملة الروسية والأسدية الهمجية على المحافظة على الشكل التالي:

تعرضت أكثر من 121 نقطة في المحافظة لغارات جوية روسية وأسدية بمختلف أنواع الأسلحة، والتي تنوّعت ما بين 359 غارة بالصواريخ الفراغية، و 67 غارة بالصواريخ والقنابل العنقودية، و 17 غارة بالرشاشات الثقيلة، و 16 غارة مظلية، و 10 غارات بالقنابل والصواريخ الارتجاجية، و 8 غارات بالفوسفور.

وشنّ الطيران المروحي 31 غارة جوية بالبراميل المتفجرة، وغارتين بالألغام المتفجرة، وغارة بالألغام البحرية.

وشنّ طيران مجهول غارتين جويتين على المنطقة، كما شنّت طائرة بدون طيار غارة جوية مماثلة، وتعرضت نقطة للاستهداف من قبل البوارج الروسية، و4 نقاط بالصواريخ الباليستية.

ووفقاً لإحصائية «زيتون» استهدف طيران الأسد والطيران الروسي 15 مدرسة، وتجمعي مدارس، إضافةً لاستهداف كلية التربية في مدينة معرة النعمان.

ووثّقت «زيتون» ارتقاء 157 شهيداً في محافظة إدلب خلال النصف الثاني من شهر تشرين الثاني، بينهم 51 طفلاً، وعدد كبير من الجرحى.

ورصدت «زيتون» انفجار 12 عبوة ناسفة، وسيارة مفخخة، وانفجارين بألغام أرضية كانت مزروعة في طرقات المنطقة.

وتجدر الإشارة إلى أن إحصائية «زيتون» تشمل النصف الثاني من شهر تشرين الثاني في الفترة ما بين 15- 29 من تشرين الثاني، والذي تزامن مع الحملة الهمجية الروسية على مدينة إدلب وريفها.

مشاكل في تزفيت بعض الطرقات والمجلس المحلي في سراقب يوضح

قام المجلس المحلي لمدينة سراقب بتنفيذ مشروع لإصلاح الطرقات وتزفيتها، بدعم من البرنامج الإقليمي السوري (كيمونيكس)، ويشمل الطرق الرئيسية لمداخل المدينة وإصلاح أغلب الطرق المتضررة من القصف وتسهيل حركة السيارات لا سيما سيارات الإسعاف.

وكان أحد المواطنين قد بث مقطعاً مصوراً من مدينة سراقب عن عملية تزفيت أحد الطرقات في المدينة، ويظهر في الفيديو عدم وضع مادة الفيول تحت طبقة الإسفلت وهو خلل قد يجعل الإسفلت قابلا للإزالة بسهولة كما جاء في الفيديو.

وحول هذا الموضوع قال رئيس المجلس المحلي إبراهيم باريش لـ « زيتون »: «المشروع هو عبارة عن ترقيع وإصلاح الشوارع وليس تزفيتاً كاملاً، ولأنه يحق لنا مراقبة تنفيذ العمل كما ورد في نقاط العقد مع المتعهد، فقد قمنا باختيار أشخاص من ذوي الخبرة مثل المراقب الفني «محمد رفيق شيخ ديب» والمهندس «محمد عكلة» رئيس مكتب الخدمات بالإشراف على تنفيذ المشروع.

وأوضح باريش إلى أن اللبس الذي حصل حول عدم وجود مادة الفيول التي تعتبر الأساس في التصاق المجبول الزفتي بالشارع ، هو بسبب مرور السيارات على الطرقات قبل التزفيت ما يزيل كمية كبيرة من الفيول نتيجة لالتصاقه بعجلات السيارات.

وبالرجوع إلى بنود العقد الذي حصلت زيتون على نسخة منه تبين أن القيمة المخصصة لمادة الفيول هي ما يقارب 24900 دولار، كما أن للمجلس المحلي الحق بحسب العقد بزيادة الكميات أو إنقاصها بمعدل 25٪ من قيمة العقد وفق ضرورة المشروع، وفي حال تبين وجود أخطاء أثناء تنفيذ العمل يحق للمجلس أيضا الاعتراض وتقديم التعليمات المناسبة من قبل المهندسين والخبراء المراقبين.

بدوره أكد المشرف على المشروع محمد عكلة أنه في ظل الظروف الحالية يجب رش مادة الفيول ومن ثم التزفيت مباشرة، وتجنبا لأي خلل في العمل سيتم وقف حركة السيارات قبل التزفيت الكامل، أما بالنسبة للشوارع التي تضررت بسبب مرور السيارات ونقص مادة الفيول فقد تم رش هذه المادة فوق الطبقة الرقيقة وإصلاحها وسيعاد العمل على كل النقاط الضعيفة قبل تسليم المشروع.

وقال أحد المواطنين لـ «زيتون»: بأن مادة الفيول رغم أنها وضعت في أغلب الطرق إلا أن بعض الطرق لم يتم وضع المادة عليها وهذا سيؤدي في الشتاء الى زوال طبقة الزفت لأنها غير ملتصقة بالأرض، نتمنى من الجهات المعنية متابعة عمل المتعهد ومراقبته كي تستمر الثقة بين المواطن والمجلس المحلي ولكي لا نقع في الخلافات التي توصلنا إلى الاتهامات وتخوين القائمين على مشاريع في البلد.

يذكر أن مدة العقد هي 60 يوم من تاريخ توقيع العقد 18/10/2016 وأن يضمن المتعهد المشروع من سوء التنفيذ وإصلاح أي خلل يوجد لمدة سنة كاملة من تاريخ الاستلام المؤقت.

90 بالمئة من أطفال إدلب حصلوا على اللقاح الروتيني هذا العام

أقام فريق لقاح سورية ومديرية صحة إدلب بإشراف منظمة اليونيسيف ومنظمة الصحة العالمية، منتصف شهر تشرين الثاني، الجولة الثالثة والأخيرة من حملة اللقاح الروتيني في إدلب وريفها، والتي شملت الأطفال ما بين عمر يوم وحتى الخمسة أعوام.

وشهدت مراكز التلقيح في إدلب وريفها إقبالاً كبيراً من الأهالي، لما لذلك من أهمية لصحة وحياة الطفل، وللوقاية من جميع الأمراض الخطيرة التي يمكن أن يصاب بها أغلب الأطفال الذين لا يتلقون هذه اللقاحات بشكل دوري ومستمر.

وشملت الحملة كافة أنواع اللقاحات الضرورية كلقاح شلل الأطفال الفموي منذ الولادة وحتى خمس سنوات، ولقاح الحصبة والحصبة الألمانية من ٦ شهور حتى الخمس سنوات، بالإضافة إلى اللقاح الخماسي من عمر الشهرين وحتى خمس سنوات، والذي يتضمن «لقاح الدفتريا، السعال الديكي، الكزاز، التهاب الكبد، وفيتامين A».

الدكتور «عبد الحكيم رمضان» عضو مديرية صحة إدلب قال لـ «زيتون»: «لقد تم إطلاق حملة اللقاح الروتيني لمدة ثلاث جولات منذ مدة ستة أشهر بفاصل شهرين بين كل جولة وأخرى، وكان العدد المستهدف حوالي ٣٠٠٠٠٠ طفل، ووصلت نسبة الأطفال الحاصلين على كافة اللقاحات حسب الإحصائيات إلى ما بين ٩٠- ٩٥٪ من الأطفال دون سن الخمس سنوات».

وأضاف: «إن حملة التلقيح هذه مثلها مثل كل حملات اللقاح السابقة تغطي كامل محافظة ادلب قرى وتجمعات سكنية ومخيمات، ويوجد أكثر من ٣٤٠ فريق في هذه الحملة توزعوا على مدينة إدلب وريفها، وكل فريق مؤلف من أربعة أفراد: ملقح، ومذخر، ومنظم دور، ومسجل».

وأكد على أن الاولوية في اختيار الكوادر في فرق اللقاح هي لحملة الشهادات والممارسين للقاح بشكل عام، علما أن جميع كوادر اللقاح تخضع لدورة تدريبية قبل كل حملة مدتها ٣ أيام».

وأشار إلى أن هذه الحملة شملت اللقاح الخماسي والحصبة الألمانية ولقاح شلل الأطفال الفموي والحصبة وهي أخر حملة لقاح روتيني لهذا العام.

وختم «رمضان» حديثه بالتأكيد على أن المرحلة القادمة من اللقاحات في إدلب، والتي ستتم في بداية العام القادم، ستشهد افتتاح مراكز ثابتة ودائمة لخدمة اللقاح في مناطق إدلب وريفها، وسيكون هناك ٤٧ مركز يقدم جميع لقاحات الأطفال.

من جانبه قال أحد المشرفين على حملات اللقاح في سراقب، الدكتور «عبد الله هلال» لـ «زيتون»: «إن الحملة كانت إيجابية وهناك إقبال جيد على كافة المراكز، وخلال الأيام الأولى من فترة اللقاحات لم تتجاوز

النسبة ٥٠٪ من الجرع يوميا وذلك بسبب قصف الطيران على المدينة، ولكن النسبة وصلت بعدها إلى ١٠٠ جرعة بشكل يومي».

وأكد على أنه كان من ضمن كل فريق طبيب أطفال يشرف على عملية اللقاح والأعراض الجانبية للقاح خوفا من التحسس أو الاختلاج أو أية أعراض سلبية قد تؤثر على الطفل، ولإعطاء الإرشادات الهامة للأهالي، مشدداً على أن اللقاحات شملت جميع سكان المدينة بما فيهم النازحين القاطنين في المنطقة.

«ريم « إحدى المختصات في عملية التلقيح قالت لـ «زيتون»: «سابقا قبل تحرير إدلب كنا نعاني كثيرا لأننا كنا فريقين واحد جوال على المنازل والريف، وآخر ثابت يعمل ضمن مركز معين، حيث كنا خلال اليوم الواحد نذهب إلى منطقتين لاستكمال اللقاحات لجميع أطفال الريف، ولكن حاليا أصبح الوضع أفضل مما كان حيث يتم التنظيم والحد من الازدحام وتخفيف معاناتنا ومعاناة الأهالي».

«عبد الستار» أحد أهالي مدينة سراقب، قال لـ «زيتون»: «عندما انقطع اللقاح بشكل كامل عن المنطقة كنت أذهب إلى المناطق الحدودية ومناطق ريف حلب مثل (جزرايا) لتأمين جرعة اللقاح لأولادي، وقبل توفر اللقاح عانيت الكثير في هذا الأمر، حيث حصلت على جرعة الشهر الأول لولدي بعد أن أصبح عمره سنة وشهرين، ولكن الأمر أصبح الآن أكثر سهولة».

"البيرين" للتدفئة بعد غلاء المحروقات في إدلب

في ظل شتاء يبدو أنه أقسى من سابقاته، وغلاء لم يعتاده السوريون، بدا تأمين التدفئة من التحديات التي تثقل كاهل السوري، وفي محافظة إدلب بات البحث عن المواد التي تؤمن الدفء بسعر مقبول هو حديث الأهالي وشغلهم، والبحث عن بديل لمحروقات التدفئة وللحطب الذي تزايد سعره يوما بعد يوم، قاد الأهالي لاستخدام مادة البيرين وهي فضلات الزيتون بعد عصره، لعله يؤمن لهم احتياجاتهم من تدفئة وطهي بآن واحد، وبسعر يتناسب مع معيشتهم الحالية.

وقال "جميل قلعه جي" مالك منشأة لتصنيع البيرين لزيتون: تنتج مادة البيرين من مخلفات عصر الزيتون في المعاصر المنتشرة في المحافظات السورية وخاصة في محافظة إدلب، نظراً للانتشار الواسع لمساحات أشجار الزيتون والمعاصر المنتجة لها، وغدت محط اهتمام كبير عند العديد من الأهالي، بعد أن اقتصر استخدامها سابقاً على تدفئة المداجن الكبيرة.

وأضاف "القلعه جي"يتم كبس تلك المخلفات على شكل أسطوانات أو مكعبات بمكابس خاصة، منوهاً إلى أن سعر الكيلو غرام الواحد من البيرين يتراوح بين (٤٥ و٥٠) ليرة سورية، وبذلك يتم توفير ثلاثة أضعاف عما يتم استهلاكه من مادة المازوت، وخاصة أنها تتميز بوفرة الدفء الذي تعطيه عند اشتعالها، ومدة اشتعاله الطويلة.

ويقول أبو أحمد السرميني أحد باعة البيرين في سراقب أن سعر البيرين حاليا حوالي (٥٠٠٠٠) ليرة سورية حاليا، وهو مضغوط وجاف وجيد الاحتراق ولا تنبعث منه أي روائح ناهيك عن حرارته المرتفعة».

ويضيف أبو أحمد: «لقد كان الأهالي سابقاً يستعملونه في تدفئة المداجن والحظائر لكنهم توجهوا اليوم لاستعماله في تدفئة المنازل بسبب مزاياه الجيدة وسعره المناسب».

"محمود الرسلان" مواطن من ريف ادلب الجنوبي، قال لزيتون: إنه اضطر في هذا العام لاستعمال «البيرين» للتدفئة كبديل للوقود والحطب، كون الحرارة الناتجة عن اشتعاله عالية وتحتاج فترة زمنية للاحتراق أطول من باقي أصناف الحطب، لاحتوائها على الزيت المتبقي من عملية العصر، ناهيك عن أن المادة لا ينتج عنها بقايا كتلك الناتجة عن عملية احتراق الحطب، ما يوفر قدراً كبيراً من النظافة طوال فترة فصل الشتاء.

وأشار "كمال الخنوس" أحد أهالي قرية معرتحرمة في ريف ادلب الجنوبي والذي يستعمل «البيرين» كوقود للتدفئة للسنة الثانية على التوالي في حديث لـ «زيتون»، أنه استعمل مدافئ المازوت في السنوات السابقة، ولاحظ الفرق في التدفئة التي تعطيه إياه المدفئة، فالانقطاع المستمرة لمادة المازوت، وعدم توفره بشكل دائم في الأسواق إضافة الى الفرق في التكلفة ما بين «البيرين» والمازوت جدير بأن نجربه في منازلنا.

ويبدو أن فائدة الزيتون ليست بثماره وزيته فقط، بل حتى في لبه وفضلات عصره.

بطبيبين اثنين.. الطب الشرعي بإدلب وريفها يعمل على توثيق الشهداء مجهولي الهوية وكشف ملابسات جرائم فوضى الحرب

خاص زيتون

في ظلّ فوضى الحرب والقصف والفلتان الأمني الذي تعيشه العديد من المناطق المحرّرة، ومن بينها إدلب، برزت الحاجة إلى إيجاد هيئة أو مؤسسة لتوثيق الجرائم بكافة أشكالها، وأيّاً كانت مصادرها، ووسط هذه الأوضاع تم إيجاد «مركز الطب الشرعي» في محافظة إدلب، حيث تم تشكيل هيئة الطب الشرعي بمحافظة ادلب وريفها بشكل رسمي من قبل مديرية صحة إدلب بتاريخ 2016/4/1.

توثيق الجرائم

مدير مركز الطب الشرعي في إدلب وريفها الدكتور «زاهر الطقش» قال في حديث خاص لـ «زيتون»: «إن المركز يقوم بتنفيذ جميع المهام الموكلة إليه، فيما يتعلق بالجريمة وكيفية وقوعها، ومحاولة معرفة الجاني، ومساعدة الضحية في تحصيل حقها كاملاً من خلال إظهار الحقيقة وملابسات الجريمة بشكلٍ علميّ، وخاصة في الجرائم الجنائية مثل «جرائم القتل، والمشاجرات، وحوادث السير، والجرائم الجنسية»، وذلك بالتعاون مع كافة المحاكم وأقسام الشرطة واللجان الأمنية».

وأضاف «الطقش»: «تمّ مؤخراً الاستعانة بخبير أدلة جنائية، وذلك لأخذ البصمات سواء بصمات الانسان، أو بصمات الأسلحة»، لافتاً إلى أن الطب الشرعي في إدلب وريفها يتطوّر يوماً بعد يوم.

وأكّد الطقش على مدى أهميته في كشف مثل هذه الجرائم في ظل الأوضاع الراهنة، مشدّداً على ضرورة تعاون كافة المحاكم والقضاة مع مركز الطب الشرعي للكشف عنها ومحاسبة مرتكبيها وردّ الحقوق لأصحابها.

توثيق الشهداء مجهولي الهوية والمساعدة في البحث عن المفقودين

في هذا السياق قال الدكتور «زاهر»: «نقوم في المركز حاليا بتوثيق الشهداء مجهولي الهوية، وقد حصلنا حديثاً على براد يتّسع لاثنتي عشرة جثة، في حال حولت لنا أي جثة لشخص مجهول الهوية، نقوم بتصويرها ووصفها وصفاً دقيقاً ونأخذ منها خزعة «DNA»ونقوم بتوثيقها وفق جداول خاصة، وبعد ذلك نقوم بدفن الجثث المجهولة الهوية في مقبرة خاصة بها، وعند مراجعتنا من قبل أي شخص لديه شخص مفقود نقوم بعرض الصور عليه فإذا تعرّف على إحدى الصور وتأكّد من أنها تعود للشخص الذي يبحث عنه نقوم بإعطائه رقم القبر وفي أي مقبرة تم دفنه، وإذا لم يتأكد بشكل مطلق من الصور أو بقي لديه شك، نقوم بإعطائه خزعة ال «DNA»، بحيث نساهم في مساعدة الناس في البحث عن المفقودين».

ونوّه «الطقش» إلى أن من مهام مركز الطب الشرعي أيضاً، العمل ضمن اللجان الطبية وكشف الأخطاء الطبيّة التي يقع بها بعض الأطباء أحياناً، وقد تسفر عن أضرار صحية كبيرة لدى المريض، أو إلى وفاته أحياناً.

وأبدى «الطقش» استعداد المركز للتجاوب والتفاعل التام مع كافة المحاكم وأقسام الشرطة، منوّهاً إلى أن المركز مفتوح أمام كافة الأطراف المسؤولة، وعلى مدار الأربع وعشرين ساعة، على الرغم من أن المركز مؤلف من طبيبين شرعيين فقط.

ودعا «الطقش» عبر «زيتون» كافة محاكم إدلب وريفها وأقسام الشرطة واللجان الأمنية والطبيّة، لتقصّي الحقائق المتعلّقة بالجرائم عبر مركز الطب الشرعي لضمان الوصول للنتيجة المُثلى، مُبدياً استعداده الشخصيّ لاستلام أيّة جثة، أو القيام بأيّ معاينة حتى في يوم الجمعة.

وأكدّ «الطقش» على أن مركز الطب الشرعي في إدلب وريفها هو جهة حيادية تماماً لا تتبع لأي جهة، وهدفها الوحيد هو الوصول إلى الحقيقة، ومساعدة الجهات المختصة وأصحاب الحقوق.

هذا وأشار «الطقش» إلى أن المركز يعمل حالياً تحت إشراف مديرية صحة إدلب، التي وقعت عقداً مع المنظمة الداعمة ينتهي بنهاية شهر شباط من العام القادم 2017، ومن غير المعروف فيما إذا كانت المنظمة ستواصل دعمها للمركز بعد هذا التاريخ أم لا.

مشروع تدريبي لبناء قدرات المجلس المحلي في سراقب

عقد المجلس المحلي في مدينة سراقب الأحد الماضي، بدعم من منظمة «ACTED» ، اجتماعاً في منتدى بوابة إدلب، من أجل بناء قدرات المجلس المحلي في المدينة، وطرح مشاريع تهدف إلى ترقية المجلس وتطوير عمله في كافة أقسامه.

وضم الاجتماع كلاً من أعضاء المجلس المحلي، وممثلين عن نقابة المحامين، ونقابة المهندسين، وعدداً من أهالي المدينة.

وتناول الاجتماع تقييماً توضيحياً عن دور المجلس المحلي في تنفيذ مهامه، بالإضافة إلى أسئلة عامة للمواطنين عن النقاط السلبية والإيجابية في ما يخص عمل المجلس.

وقال «إبراهيم باريش» رئيس المجلس المحلي لـ«زيتون »: إن «مشروع بناء قدرات المجلس المحلي هي خطوة بناءة تهدف إلى تدريب أعضاء المجلس على القدرات والعمل الناجح ضمن مهامهم داخل إدارة المجلس».

وأضاف: «تهدف هذه المشاريع أيضاً إلى تجنب الأخطاء في قيادة المشاريع المقدمة لصالح المدينة في كافة الجوانب الاستراتيجية، فضلاً عن زيادة الخبرة لدى جميع أعضاء المجلس في تنفيذ مهامهم».

من جانبه قال المنسق العام لعمل منظمة «آكتد»، المهندس «أيمن صبوح» لـ«زيتون »:إن «هذا المشروع يهدف إلى استبيان وتقييم عن احتياجات لعمل المجالس المحلية في قدرتها على تنفيذ مشاريع صغيرة دون وسيط آخر».

وأضاف «صبوح»: «هناك دورة في الشهر الأول من العام المقبل ستضم عددا من أعضاء المجالس المحلية التي تم اختيارها، وهي سراقب- معرة النعمان- كفرنبل- كفرتخاريم».

وتابع: «وسيحدد لكل مجلس فترة أسبوع تدريبي عن جميع المكاتب ضمن المجلس المحلي والتي لا تمارس عملها بشكل كامل، وسيتم تدريب أعضائه على الخطط الاستراتيجية حتى يستطيع كل موظف أن يدير عمله بشكل صحيح ومثمر كخطة أولية». واستطرد: «ومن ثم سيعطى كل مجلس مشروع صغير بمبلغ 10 آلاف دولار سيتم تنفيذه من قبل أعضاء المجلس ضمن مدنهم، يعود ربحه لصالح المجلس، وذلك بدعم من المنظمات شرط أن يكون المجلس نفسه هو الجهة التنفيذية للمشروع».

أهالي ريف إدلب وتحديات توفير المياه

خلّف نظام الأسد لأهالي الريف الإدلبي، علاوةً على كلّ المشاكل والأضرار والأعباء التي خلّفها بإجرامه، مشكلةً جديدة وعبئاً إضافياً يتعلّق بالحاجات الأساسية للحياة، وهي مشكلة انقطاع المياه عن مدن وبلدات ريف إدلب. حيث تعاني مناطق ريف إدلب من انقطاع المياه بشكل مستمر، ومن صعوبة توفرها في الكثير منها، وذلك نتيجة لتعطل معظم محطات المياه في القرى والبلدات نتيجة انقطاع التيار الكهربائي فيها.
وباتت منازل الريف الإدلبي بلا ماء، ودفعت الحاجة الماسة للماء في ظلّ انقطاعه المتواصل، الناس لشراء المياه عبر الصهاريج منذ بداية الثورة، لتُضاف إلى جملة المعاناة اليومية التي يُعاني منها الأهالي.
«أبو محمود» من أهالي ريف إدلب، دخله اليومي لا يتجاوز الـ 2000 ليرة سورية، يُضطرّ لشراء صهريج مياه أسبوعياً لتكفي لاستخداماته اليومية خلال الأسبوع، بتكلفة تقدر بمبلغ 3000 ليرة سورية ، لتكون قطرة الماء التي يشربها هو وعائلته، مطعمة بالألم.

عز الدين زكور

«بيع المياه».. مصدر رزق للمواطنين

بالمقابل دعت الحاجة للحصول على الماء، إلى امتهان البعض لبيع المياه عبر الوسيلة المتوفرة في الريف الإدلبي، ألا وهي الصهاريج، فمع تفاقم أزمة المياه يوماً بعد يوم، وازياد حاجة الناس إليها في ظل عدم توفرها، تطورت هذه العملية مع الأيام لتكون مصدراً للرزق وعملاً يزاوله الكثير من الأهالي.
«عمر مصطفى» أحد مالكي صهاريج المياه، قال لـ «زيتون»: «نملك صهريجاً للمياه منذ زمن، كنا نستخدمه قبل بداية الثورة في الأعمال الزراعية الخاصة، وفي بعض الاستخدامات الأخرى ولم يكن لوجوده هذه الأهمية، فالمياه كانت متوفرة على دوام الساعة وبكثرة، أما اليوم في ظل الشّحّ الكبير بالمياه الذي تشهده المنطقة، فقد تفرغت كليّاً للعمل على الصهريج، وأصبح هو عملي ومصدر رزقي ورزق عائلتي، لاسيما بعد أن انقطعت عن متابعة دراستي».

غلاء أسعار الصهاريج والتباين بين منطقة وأخرى

سجّلت أسعار الصهاريج مؤخراً ارتفاعاً كبيراً، فضلاً عن تباينها بين منطقة وأخرى، حيث تتراوح ما بين 1600-2000 ليرة سورية في مدينة كفرنبل، وما بين الـ 2500 إلى3000 ليرة في مدينة سراقب، أما في مدينة معرة مصرين فقد وصل سعر الصهريج إلى4500 ليرة، في حين يتراوح سعره في مناطق شمال إدلب من الـ 3000 ليرة إلى 4000 ليرة.
ويعزو «أبو الفضل»- أحد أهالي ريف إدلب- اختلاف أسعار صهاريج المياه من منطقة إلى أخرى، إلى عملية تلاعب بالأسعار من قبل مالكي صهاريج المياه ليس إلّا، مبيناً أنه في الوقت الذي يُباع فيه الصهريج في بلدته بسعر 3000 ليرة، كان يباع في البلدة المجاورة بسعر 1600 ليرة في تباين واضح في الأسعار، وغياب واضح للأسباب.
وفي بعض المناطق يستغل سائقي بعض الصهاريج حاجة الأهالي للمياه، وخاصة في المناطق التي تعاني من قلة في صهاريج المياه.

الصورة الهشة للمؤسسات الرقابية

تظهر هشاشة المؤسسات الرقابية والمجالس المحلية وغيرها من الهيئات ومؤسسات المجتمع المدني، في وقوفها عاجزة عن اتخاذ أي خطوة لتوحيد الأسعار، ومنع التلاعب بها من قبل مالكي الصهاريج، في ظل مناشدات طويلة الأمد من قبل الأهالي للجهات المعنية للتدخل للحد من هذا الاستغلال الذي يمارسه بعض ضعاف النفوس.
في هذا السياق يقول مالك صهريج المياه «عمر مصطفى» لـ «زيتون»: «لا يمكن الحكم علينا بهذا الأمر، وخاصة أن الأسعار تتوقف على الكثير من العوامل، أهمها بعد البيوت عن المناهل أو مصدر المياه وبذلك يزداد المصروف، بالإضافة إلى أن أسعار البنزين والمازوت غير مستقرة، وتختلف من منطقة إلى أخرى، وهي في ازدياد مستمر، عدا عن أعمال الصيانة المكلفة».
وفي المناطق ذات الطبيعة الصعبة كالمناطق الجبلية أو المخيمات، تكون الآليات معرضة أكثر للأعطال وبذلك يترتب مصاريف أكثر.. «كنانة عرفات» سائق صهريج في مخيم أطمة يقول:
في مخيم أطمة يتقاضى صاحب البئر ما يقارب دولار أمريكي ونصف الدولار، لقاء تعبئة الصهريج الواحد، وتحتاج النقلة الواحدة لثلاث لترات مازوت بتكلفة 1050 ليرة، وبهذا تصل التكلفة إلى 2300 ليرة، ونحن بدورنا نبيع الأهالي الصهريج بسعر 3000 ليرة، مبينا أن المربح بذلك يكون مناسب للجميع.
ويتابع: «مع دخول فصل الشتاء ووعورة الطرقات والطبيعة الموجودة في المخيم، كلّ ذلك قد يتسبّب بحدوث أعطال كبيرة ومكلفة، وبعض الأعطال قد تعادل تكلفة إصلاحها عمل شهر كامل».

إدارة المناهل بين القطاع العام والخاص

في ظل تعذر إيصال المياه عبر خطوط التمديد نظراً لتكلفتها المادية الكبيرة، حملت بعض المجالس المحلية في ريف إدلب، على كاهلها مسؤولية إدارة «مناهل» المياه، في خطوة رأتها الأنسب والأفضل بالنسبة للمواطن، حيث تعمل المجالس المحلية خلالها على ضبط الأسعار وتوحيدها وتوفيرها بسعر أقل.
ورصدت «زيتون» هذه التجربة في بلدة كللي بريف إدلب الشمالي، والتقت رئيس المجلس المحلي للبلدة «رفيق معدل»، الذي قال في حديثه لـ «زيتون»: إن «بلدة كللي تحتاج لعملية ضخ المياه، ما يقارب الـ 10 آلاف ليتر من مادة «الديزل» شهرياً، وهذه المصاريف كبيرة جداً، وليس لدينا الإمكانيات لتغطيتها في ظل عدم توفر جهة داعمة، ولذلك وفي سبيل تجاوز هذه الأزمة لجأنا في مجلس بلدة كللي إلى تأهيل منهل مياه لتوفير المياه للأهالي».
وأضاف: «نتكفل في المجلس المحلي في إدارة المناهل في البلدة، وتوصيل المياه عبر الصهاريج للمنازل، حيث نتقاضى مبلغ 400 ليرة سورية عن قيمة الصهريج الواحد، أما سائقي الصهاريج فيتقاضون أجوراً من الأهالي يحددها المجلس المحلي، حيث تبلغ قيمة الصهريج الواحد 1000 ليرة، في حال لم يكن هناك حاجة للضخ، أما عند الحاجة لذلك فتصل قيمته إلى 1600 ليرة.»

الآبار الخاصة

«أبو عبدو» أحد أهالي ريف إدلب، قام بتأهيل بئر المياه الذي يملكه_ لاستثماره_ كمنهل لبيع المياه للصهاريج، قال في حديثه لـ «زيتون»: «بعد انقطاع التيار الكهربائي بقي البئر معطلاً لمدة سنتين، ولم نعد نستخدمه في ري وسقاية المزروعات، ووجدنا أنه من الممكن استثماره كمنهل للصهاريج في ظل أزمة المياه التي تشهدها المنطقة، وقمنا بعدها بتأهيله بتكلفة وصلت إلى7000 دولار أمريكي، من تجهيز للبئر ولبعض التمديدات بالإضافة لشراء مولدة كهربائية، والآن نبيع المياه للصهاريج بتكلفة تقدر بمبلغ 800 ليرة تقريباً.
واستطرد: «إنها عملية مربحة نوعاً ما، لكن أهم المشاكل التي من الممكن أن تواجهنا هي أعمال الصيانة والتصليح المكلفة».
وهكذا نجد أن المواطن هو الحلقة الأضعف ما بين القطاع المؤسساتي العام، والقطاع الخاص، في عبء اقتصادي جديد، ومشكلة تتفاقم يوماً بعد يوم، في ظلّ عدم إيجاد حلول جذرية لها.

مشاكل الطفولة ومراكز الدعم في إدلب

تعتبر الصدمات التي يتعرض لها الطفل بفعل الحروب أقسى مما قد يتعرض له من جراء الكوارث الطبيعية وأكثر رسوخاً في الذاكرة، وتمتلئ مشاعر الطفل بالعنف والكراهية والشك أو اليأس و القلق المستمر، وبات الطفل السوري أكثر عرضة للتدهور النفسي، ودفعت قلة الخبرة في التعامل مع الأطفال في الأزمات والصراعات، العديد من الهيئات المدنية والمؤسسات التربوية إلى بذل الجهود القصوى في هذا الخصوص، وانتشرت العديد من مراكز رعاية الطفولة والدعم النفسي في مختلف مناطق الريف الإدلبي.

خاص زيتون

«فاطمة محمود» مسؤولة قسم الرعاية النفسية في مركز التغذية والدعم النفسي، وهو أحد المراكز الموجودة في مدينة معرة مصرين قالت في حديث لـ«زيتون»: «نعمل في المركز، على كشف الحالات النفسية المتردية عند الأطفال، ويكون ذلك عن طريق فرق خارجية تتبع للمركز، تقوم بجولات ضمن المناطق التي يغطيها المركز وبعد ضبط هذه الحالات يتم تحويلها للمركز، حيث نعمل على خلق جو شبيه بالمنزل ضمن المركز لتعزيز الشعور لدى الطفل بالطمأنينة والهدوء».

وأضافت: «نهتم بالدرجة الأولى في عملنا على عقد جلسات توعية وتثقيف للأهالي ولاسيما الأمهات، وذلك لمساعدتنا في تجاوز المشاكل لدى الطفل، ونحاول تكريس فكرة السرية في علاقاتنا مع الأهل والأطفال للعمل بأريحية أكثر وطمأنينة».

وتابعت: «وتبدأ الجلسات النفسية، لمعالجة المشاكل النفسية التي يتعرض لها الأطفال خلال الحرب، من خوف ورعب وعنف وغضب بالإضافة لمشاكل النطق التي تحدث عند البعض منهم، ونناقش مع الأهل الأسباب التي أوصلت أبناءهم إلى هذه الحالة، وكيفية علاجها، وتكون معاينة الطفل خلال الجلسات، ونحاول قدر الإمكان القضاء عليها، أو على الأقل التخفيف من شدتها».

وأشارت إلى أن المركز يعمل أيضاً على التركيز على الناحية الفيزيولوجية للطفل، ويعمل على تقديم برامج غذائية للحفاظ على بنية جسم الطفل، وخاصة في مراحل نموه المبكرة، بقولها: «نقوم في المركز بعقد جلسات توعية وتثقيف للأمهات بخصوص التغذية والحفاظ على برنامج غذائي صحيح، وذلك بهدف رفع الوعي لديهن بما يخص التغذية السليمة لأطفالهن، ومراقبة أوزانهم بين الحين والآخر بطرق بسيطة، ونقدم الحليب للأطفال ونشجّع الأمهات على الإرضاع الطبيعي».

وأوضحت «محمود» في ختام حديثها أن مشاكل الأطفال النفسية باتت كثيرة جداً في ظل ما تشهده البلاد من أوضاع الحرب، وأن هذه الحالات لا يمكن الكشف عنها إلا عن طريق هذه المراكز، والتي باتت تستقبل ما بين 300-400 طفل وأم شهرياً.

رياض الأطفال تتحول إلى مراكز دعم لهم

«صفاء حجار» مديرة روضة «زهرة المدائن» في مدينة معرة مصرين قالت لـ «زيتون»: «تعتبر منشآت رياض الأطفال إحدى وسائل التأهيل والترفيه للأطفال والتي تتيح لهم التعبير عن مواهبهم وقدرتهم، وتعلمهم القراءة والكتابة بالإضافة إلى التأقلم والاندماج مع المجتمع فهي مؤسسة اجتماعية بحد ذاتها، أما اليوم في ظل الأوضاع المأساوية التي تمر بها البلاد، أصبحت الروضات تهتم بشكل أساسي في تهيئة وتحسين الحالة النفسية للأطفال، حيث تعتبر الترفيه واللعب والدعابة من أهم وسائل تخفيف الضغط النفسي للطفل».

وأضافت: «»الحالات الأمنية الطارئة والتي أصبحت كثيرة ومتكررة، جعلتنا دوما في ترقب لهذه حالات، ونعمل دوما على تهيئة الجو، في حال قصفت طائرة أو ما شابه، وندخل الأطفال لأقرب نقطة تعتبر آمنة، ونحاول إشغالهم إما في لعب أو نشاط، وبين الحين والآخر ننظم احتفالات صغيرة ونشاطات ترفيهية ممكن أن تساهم في التأقلم ونسيان مشاهد القصف والدمار».

أما «آلاء باكير» مشرفة في إحدى الروضات في ريف إدلب، فاعتبرت في حديثها لـ «زيتون»: أن هذه المؤسسات مازالت محافظة على صورتها التقليدية، والسبب في ذلك هو قلة الخبرات التخصصية في هذا المجال، بالإضافة لقلة الرعاية المؤسساتية لمثل هذه المشاريع.

قالت «غادة باكير « المسؤولة عن مركز البراءة للدعم والتأهيل النفسي في مدينة سراقب لـ «زيتون»: «إن هذه المراكز هامة لدعم الأطفال في ظل الظروف والقصف الذي يبعث الخوف في نفوسهم، والضغوط النفسية الناجمة عن خسارة بعضه لأحد والديهم أو أفراد عائلتهم أو أحبتهم، ولذلك تعمل هذه المراكز على التركيز على شخصية الطفل وبنائها بشكل سليم، عن طريق اللعب وتحفيز الأطفال على المشاركة في الحفلات والمعارض التي يقيمها المركز من أجل تنمية مواهب الطفل أولاً وتقوية شخصيته ثانياً».

وأضافت: «وبالنسبة لأهداف مركزنا هو الاهتمام بالأطفال وتقديم الدعم النفسي لهم في ظل الأوضاع الراهنة التي نعيشها في بلدنا وتنمية مواهبهم في مواجهة العقبات أمامهم، إضافة إلى تعليمهم ومحاولة تعويض التقصير الدراسي لديهم».

هذا وأشارت «باكير» إلى وجود عدة أنشطة تقوم بها المشرفات والمدربات من أجل مساعدة الطفل على التعبير عن نفسه وإعطائه الثقة والدعم في كافة النواحي، بقولها: «وأهم النشاطات المقدمة في مراكز الدعم النفسي للطفل إقامة حفلات فنية تشمل مسرحيات وأغاني تقدمها فرقة «كورال البراءة « للترويح عن الأطفال، بالإضافة إلى إقامة معارض رسم لعرض لوحات الأطفال وتنمية أفكارهم».

تخفيفاً لوطأة المجزرة.. دورة تدريبية لمعلمي حاس

أقام مركز التأهيل والتدريب التابع لمنظمة سوريا للإغاثة والتنمية، دورة تدريبية لمعلمي بلدة حاس بعنوان «اضطراب ما بعد الصدمة»، شارك فيها أكثر من 22 معلّماً، تم تدريبهم خلالها على كيفية التعامل مع الطلاب الذين يعانون من الصدمات، وعلى علاج المشاكل النفسية التي حصلت لدى الطلاب إثر المجزرة المروّعة لمجمع مدارس حاس، والتي راح ضحيتها أكثر من 45 شهيداً من الطلاب والمعلمين والمدنيين.

«جلاء خطاب « أحد المدربين في الدورة، قال في حديثٍ لـ «زيتون»: إن «الغاية من الدورة التي أقيمت لمعلمي حاس هي تدريب المعلمين على كيفية التعامل مع هذه الحالات من الاضطراب الناتج عن القصف الشديد الذي تلقّته البلدة، والذي استهدف مجمع المدارس من قبل طيران الأسد وروسيا، والذي نتج عنه اضطرابات ومخاوف كثيرة بين الأطفال، سبّبتها الانفجارات الشديدة التي استهدفت حياتهم وحياة الطفولة البريئة، ولما رأوه من جثث الأطفال والمدنيين, بالإضافة الى إكسابهم مهارات الداعم النفسي، وفنية التفريغ الانفعالي، فضلاً عن تقديم الإسعافات النفسية الأولية للأطفال في مثل هذه الظروف القاسية التي تمر بها بلدنا الحبيبة سورية».

وأضاف: «يكمن دور الأهل والمعلمين في حال تعرض الطفل أو الطالب لظروف مروّعة أن يبدؤوا مباشرة بإحاطته بالحنان والأمان، وعليهم ألّا يتركوا الأطفال عرضة لمواجهة مثل هذه المشاهد دون دعم نفسي، وذلك عن طريق الحديث المتواصل مع الأطفال وطمأنتهم بأن كل شيء سيكون على ما يرام، وأنّه لن يحدث لهم أيّ مكروه، مع التركيز على بثّ كلمات من الحب، كما يتوجّب على الأهل والمعلمين تشتيت أفكار الأطفال عن التركيز في الحدث المروّع خاصة في أوقات الغارات المخيفة، وإشغالهم بأي شيء، لاسيما في حال وقوعها على مقربة منهم، فهذه اللحظة هي الأهم في حياة الطفل النفسية، وكلما تُرك الطفل وحده في مواجهة هذه المواقف ازداد تأثّره بها وازداد تأثيرها السلبي بداخله على المدى القريب والبعيد».

وتابع «خطاب»: «أما بالنسبة للأطفال الأكبر سناً يُمكن مناقشة ما يجري معهم وإقناعهم بأنهم في مكان آمن أو أن القصف لن يطالهم، وأن الأهل أو المعلمين-حسب مكان تواجد الطفل حينها- متّخذين كافة الاحتياطات لحمايتهم، مع ضرورة عدم منعهم من البكاء أو السؤال عمّا يجري أو الحديث عنه، فمن الضروري معرفة ما يدور في تفكير الطفل ويجب أن نترك لمشاعره العنان في هذه الأوقات حتى لا تتراكم الصدمة، بل على العكس يمكن للأهل أو المعلّمين المبادرة بالحديث لتشجيعهم الأطفال على التعبير عن مشاعرهم، مع التأكيد على ضرورة اختيار الأسلوب المناسب والألفاظ التي يمكن للطفل استيعابها والتجاوب معها، والتي لا تؤثّر سلباً على الطفل».

وختم «خطاب» حديثه مشدّداً على أهمية مراقبة الأهل أو المعلمين لتصرفاتهم وردود أفعالهم أمام الأطفال في هذه الأوقات بالتحديد، ومحاولتهم البقاء بحالة طبيعية دون إشعار الأطفال بخوفهم، وضرورة تمتّعهم بقوة تحمّل، ومحاولة تلطيف الأجواء لبثّ الثقة والقوة في نفوس الأطفال وصرفهم عن التفكير بما يحدث في الخارج قدر المستطاع، لافتاً إلى أنّ هذه المحاور هي أبرز ما تناولته الدورة التدريبية، وحاولت إيصاله للمعلّمين في بلدة حاس بغية التعامل مع أطفال المدارس في الفترة القادمة.

في الحصة الثالثة سقط الصاروخ الثاني..

فقدت أصدقائي وكتبي ومعلمتي ومدرستي.. ماتت الطفولة ومات كل شيء في هذه المجزرة.. أصوات الانفجارات ومشهد الدمار والدماء لا تفارق مخيلتي.. أشلاء هنا وقطع هناك وكتب ملقاة.. دماء وأشلاء في كل مكان.. على مقاعد الدراسة وفي الصفوف وفي الباحة.. أخي .. ابن عمتي.. أحمد.. حسني.. لؤي.. يا رب أنا ابن شهيد ووحيد لأمي، أنقذني من أجل والدتي.. لن نسمح لطائرات الأسد وشريكه المجرم بوتين بأن تقضي على أحلامنا ومستقبلنا.. سيصبح منا أطباء ليداووا جراحنا العميقة.. وسيكون هناك مهندسين ليعيدوا بناء ما دمرته طائراتهم.. كنا شرارة الثورة وسنبقى شعلتها المتوقدة ولهذا تقتلنا طائراتهم.. هكذا عبّر أطفال حاس عن ردود أفعالهم تجاه العمل الإرهابي الذي استهدف مجمع حاس التربوي في 26 تشرين الثاني، وأسفر عن ارتقاء نحو 40 شهيداً جلّهم من الأطفال.

محمد أبو الجود

«لؤي محمد الأعرج» طالب في الصف الخامس في مدرسة حاس، وأحد الناجين من المجزرة، قال لـ «زيتون»: «لاتزال أصوات الانفجارات تدوّي في رأسي، ومشهد الدمار والدماء لا يفارقان مخيلتي، وكأنه يتكرّر في كل لحظة، فقدت أصدقائي.. وكتبي.. ومدرستي التي أحبّها.

يجهش لؤي بالبكاء، مضيفاً: « لا يمكنني وصف ما حدث في تلك اللحظة، حالة من الرعب والهلع طغت على كل جوارحي، أرى تدافع الطلاب، وهروب بعضهم نحو الحياة، واختباء البعض الآخر تحت مقاعد الدراسة التي امتلأت لاحقاً بالدماء، وتناثرت فوقها الأشلاء، حين سقوط الصاروخ الثاني، بينما أصبح همي الوحيد أخي حسني، طالب الصفّ الأول، في مشهد لن يُمسح من مخيلتي طالما أنا على قيد الحياة، كيف بدأت بالبحث عنه في أرجاء المدرسة، والطائرات ماتزال تلقي بالصواريخ فوقنا، وكيف كاد قلبي ينفطر إلى أن وجدته مختبئاً تحت المقعد في صفه، أمسكت بيده وبدأنا بالجري، خرجنا المدرسة والتجأنا إلى أحد المنازل المجاورة لها، إلى أن سمعنا صوت جدي ينادي حسني.. لؤي.. حسني.. لؤي..، عندها فقط امتلكنا شيئاً من القوة، ولا ندري كيف خرجنا مسرعين نحوه، وأصوات بكائنا تملؤ المكان، وتمتزج مع أصوات القصف، وما إن خرجنا من المنزل حتى سقط صاروخ جديد على بعد 100 مترٍ منا.

لم نكن نعلم هل هو وجود جدي ما أعطانا القوة لنجري نحو جدي بسرعةٍ أكبر؟ أم هو الخوف والحرص على الحياة؟ أم هو ما رأيناه من أهوال القصف ومخلفاته؟؟.
أشلاء هنا وقطع هناك وبقايا كتب وحقائب وأدوات زملائنا، وجثث بعضهم المتناثرة على الطرقات، كانت رائحة الموت تملأ المكان، إلى أن وصلنا إلى أمي التي بدأت بالبكاء لحظة وصولنا، خوفاً وفرحاً معاً.
يتابع «لؤي»: «في تلك اللحظة فقط قررت ألّا أعود ثانيةً إلى المدرسة، ستعلّمنا أمي، ولن نعود إلى الموت المحدق بنا في كل لحظة، لن نعود إلى الموت بأرجلنا».

يا رب لا تموتني أنا ابن شهيد

«راما» طالبة في الصف السادس في مدرسة حاس، وهي أيضاً واحدة من بين طلاب وطالبات المدرسة الناجين من المجزرة، قالت لـ «زيتون»: «فوضى.. خوف.. رعب.. بكاء.. دماء.. ودمار، لا أعرف ماذا جرى، مع سقوط الصاروخ الرابع، بدأنا بالبكاء والصراخ، توقفت الحياة أمامي، لم أتذكر في تلك اللحظة سوى «أحمد» ابن عمتي، طالب بالصف الأول، أكثر ما كان يقلقني ويثير انتباهي هو العثور عليه وإخراجه من المدرسة هو ابن شهيد ولا يعرف الرجوع إلى المنزل وحده، وجدته أمامي بعد بحثٍ مرير عنه، وجدته يركض وهو يبكي حضنته وبدأنا بالهروب معاً.

كان أحمد يبكي ويقول: «يا رب.. لا تموّتني.. انا ابن شهيد، أنا وحيد لأمي، أنقذني من أجلها»، مع تلك الأصوات التي تملأ المكان رعباً وخوفاً، صوته الجهوري الحنون الممتلئ برضا الله، أعطاني القوة، أعطاني الإصرار، أمسكت يد أحمد وجرينا حتى وصلنا إلى باب المدرسة، لانعرف أين نذهب، بدأنا بالركض مجدداً، وكانت المفاجأة الصادمة والتي أحسست قلبي توقف عندها من قساوة المنظر، عندما رأيتها لا أعرف بماذا أحسست وكأن كهرباء صعقت جسمي بالكامل بدأت بالصراخ والبكاء الجنوني، كانت يد طالب ممسكة بحقيبته على الطريق وكدت أتعثر بها.. كتب ملقاة هنا وهناك، جثث وأشلاء، ودخان كثيف، توقفت، لا أعرف ماذا حل بصديقاتي، الطائرة مازالت تحلّق في السماء، بكاء زملائي وصراخهم جمّد تفكيري، صعدت في سيارة شخص لا أعرفه، تعلّقت بالحياة لدرجة أنني عندما شاهدته كان بمثابة طوق النجاة لي، أوصلنا إلى منزل خالي ومن ثم إلى المنزل، وهنا انتهت رحلة الهروب من الموت على أرض الواقع، لكن آثارها ومشاهدها لن تنتهي في داخلي.

صدمة الموت

«حسني حسن الأعرج» طالب في الصف الرابع، قال لـ «زيتون»: «في صباح ذلك اليوم أيقظتني والدتي باكراً، ارتديت ثياب المدرسة إلى أن جهّزت لي السندويشة التي لم أتذوّقها، وضعتها في حقيبتي وانطلقت إلى المدرسة، ونحن في الدرس الثالث، سمعنا صوت الطائرة ألقت الصاروخ الأول، وكان صوت الانفجار بعيد، بدأنا أنا وأصدقائي بالضحك الممزوج بالخوف،
وما إن سقط الصاروخ الثاني حتى شعرنا بالصدمة، صدمة الموت والخوف، ضغط كبير من آثار الصاروخ الثاني، ثبتنا في مكاننا دون حراك.

وتابع حسني بعد لحظاتٍ من الصمت التي اخترقتها دموعه وتجلّت فيها معالم الخوف والرعب في تعابير

وجهه، انطلقت باتجاه الحياة، ظلام يتخلله الموت، أشلاء ملقاة على المقاعد.. بين الصفوف.. في باحة المدرسة.. في كلّ مكان، لا أدري أين أهرب، أنظر هنا وهناك دماء وطائرة بالسماء تلقي الموت على أجسادنا الهزيلة، وصلت إلى باب المدرسة وهدفي الوصول إلى أمي التي تنتظرني في المنزل، فقدت أصدقائي، وآنستي التي كانت بمثابة الأم لنا، ماتت ومات كل شيء معها، ماتت الطفولة في هذه المجزرة، وماتت معها رغبتي بالحياة بعد كل تلك المناظر المروّعة، وكل ذنبنا أننا أطفال سوريا .

أمهات بين الركام بحثاً عن فلذات أكبادهن

بمقابل كل طفل كان يبحث عن أخيه أو صديقه، وكل طفل كان يفكر في خوف أمه عليه أو عليهم، كانت هناك أمّ انفطر قلبها، وهرعت بلا وعيٍ أو إدراكٍ نحو المدرسة لتطمئن على فلذات كبدها، ومنهن من استشهدت وهي تبحث عنهم، وقبل أن تطمئن عليهم.

«أم خالد» والدة أحد أطفال مدرسة حاس، الناجين من المجزرة، قالت لـ «زيتون»: «مع التنفيذ الأول أصبحت في منطقة وسط بين الشعور بالألم والخوف من جهة، والرغبة بالبحث عن طفلي المتواجد في منطقة القصف، وخاصة بعد أن شاهدت الدخان الأسود يخرج من منطقة المدارس، لا أعلم كيف وصلت إلى المدرسة أبحث عن ابني بطريقة جنونية، لم أعر أي اهتمام للطائرة وكل تفكيري كان منصباً على البحث عن ولدي.

تتابع أم خالد وهي تتلعثم بالحديث وكأنها تعيشه الآن ولأول مرة في هذه اللحظة: بحثت كثيراً في المرة الأولى إلى أن أتى أحد الأقرباء وأخبرني بأن طفلي أصبح في المنزل، فرحة كبيرة انتابتني عندها، وركضت مسرعة إلى المنزل، لكن صدمتي كانت حين لم أجده، وتوقف كل شيء، لا أعرف ماذا أفعل وكيف أتصرف، وإذ بي أعود إلى المدرسة مرة ثانية، وبلا أدنى وعيً أو أدراك، ولكن ليس كما في المرة السابقة بل أشد، بحثت كثيراً بين الركام.. وسط الدخان الأسود، شعرت بقوة هائلة تدفعني، لا أعرف ما هي، ذهبت إلى صفه فوجدته مختبئاً تحت المقعد، كان يبكي ويبكي، سحبته من يده وصرخت في وجهه: «أنت بأمان.. أنت بأمان»، وهنا بدأ بالبكاء حضنته وركضت مسرعة به إلى المنزل .

تُعقّب أم خالد والحزن يطغى على نبرة صوتها: «تغيّرت نفسيته، تغيّر خالد كثيراً عليّ، ومنذ ذاك اليوم وهو يخاف من كل شيء، يخاف من أي صوت، يستيقظ ليلاً وهو يصرخ بصوت عالٍ، وحتى الآن هو لا يستطيع أن يخرج حتى إلى الشارع، لقد ضعُفت شخصيته، كان قبل المجزرة يساعدني كثيراً في أمور البيت، ويريحني في عملي، أما الآن بات يخاف الخروج من المنزل».

الأطفال رجال إنقاذ غامروا بحياتهم لإنقاذ بعضهم

«محمد» 30عاماً، معلّم في مدرسة حاس، يروي لـ «زيتون» ما حدث في ذلك اليوم، يقول: «أطنان من المتفجرات تسقط على تجمع مدارس مليء بالطلاب الصغار، إجرام تعدّى الخيال والوصف، لا أدري من أين أبدأ، كان الطلاب يبكون ويستنجدون باللّه ويصرخون «يا اللّه».. «يا اللّه»، يتراكضون هنا وهناك، والطائرة في السماء مازالت ترمي، لكن إنقاذ الأطفال كان أهم من حياتنا، رغم حالة الفوضى العارمة والخوف من الخطر المحدق بنا جميعاً، فلا صوت يعلو على صوت الصواريخ، بدأنا بإخراج الطلاب، ولكن!!، إلى أين نذهب بهم؟، لانعرف.. ولكننا مع ذلك نخرجهم باتجاه المجهول، ومع التنفيذ الثالث والرابع هنا كانت المجزرة الحقيقة، فالطلاب منتشرون في الشوارع يتراكضون بشكل عشوائي، وعندها سقطت المظلة، وفي هذا التنفيذ سقط العدد الأكبر من الشهداء، وانقسم الأطفال فمنهم من تحوّل إلى أشلاء، ومنهم من أُصيب، ولكنّ المؤثر أكثر من كلّ هذا، هو كيف تحوّل القسم المتبقي من الطلاب إلى «رجال إنقاذ».

يُتابع «محمد» (وشعور بالنشوة والحزن والألم والفخر ممتزجة في صوته، وبادية على وجهه، ومصحوبةً بدمعة مُحتَبَسة في عينه): «بدأ الكبير منهم يحمل الصغير ويذهب به نحو الأمان»، «لقد كانوا رجالاً وأثبتوا جدارتهم ووعيهم رغم صغر سنّهم وبراءتهم».

ويضيف: «راح الكثير من الطلاب ما بين شهيد وجريح، أيضا الكادر التدريسي سقط الكثير منهم شهداء»، «لقد تغيرت حالة ومشاعر الطلاب كثيراً بعد تلك المجزرة، وأصبح الكثير منهم يعاني حالة من الخوف وفوبيا الأصوات العالية، حتى صوت الدراجة النارية بات يرعبهم، جلهم لا يستطيعون الآن الخروج من المنزل من شدة الخوف والحالة النفسية الصعبة التي يعانون منها» .

أهوال المجزرة

«حسام»، 28عاماً، شاهد على المجزرة، وأحد المتطوعين لإنقاذ الأطفال يوم مجزرة حاس، قال: إن ذلك اليوم كان أقرب إلى أن يوصف بيوم «الحشر»، أطفال صغار كانوا

هدفاً لأحدث القنابل وأكثرها تدميراً، حالة من الذهول من فقدان الوعي انتابتني، 7 مظلات على تجمع مدارس، أمر لا يُصدّق .

وأضاف قائلاً: من المواقف التي أثرت بي في تلك المجزرة والتي لن أستطيع نسيانها، وخلال مساعدتي في إنقاذ الأطفال، وجدنا في الشارع جثة طفلة بدون رأس، هنا فقدت توازني ولم أعد أستطيع المحافظة على هدوء أعصابي، وبدأت بالبكاء والصراخ كالأطفال.

واستطرد «حسام» قائلاً: «أدعو اللّه أن يتلطّف بنا، صورة المرأة التي سقطت شهيدة هي وصهرها أثناء بحثها عن أطفالها في المدرسة، وصور أشلاء الأطفال وبكاؤهم وخوفهم.. تدافع.. جنون.. هروب نحو الحياة، لن تذهب من مخيلتي، لم نخرج من المدارس حتى خرج آخر طفل منها، شعرنا بقوة أمدّنا اللّه بها، كان يخيل لي عندما أحمل أي طفل وأخرجه إلى الأمان أنني أنقذ طفلي، ولكن بعد الانتهاء من عملية الإنقاذ دخلت المشفى لمدة ثلاثة أيام، جراء التعب والإرهاق والحالة النفسية الصعبة.. نحن الكبار لم نحتمل هذه المناظر فكيف بهؤلاء الأطفال الصغار التي اختبرت قواهم واحتمالهم طائرات الغدر الروسي والأسدي.

رغم الجراح.. رسالة من أطفال حاس ملؤها الأمل والإصرار

«ميس»، طالبة في الصف السادس في مدرسة حاس الابتدائية، وهي من مدينة كفرنبل، أرسلت للعالم كله عموماً وللإرهابيين «بشار» و «بوتين» تحديداً، برسالةٍ عبر «زيتون»، قالت فيها: «أطفال سوريا قُصفوا ولايزالون بأحدث الطائرات، بينما هم جالسون على مقاعد الدراسة، حتى الآن لا أُصدّق أنّه يوجد في الكون رجل له قلب، يقتل 30 طفلاً، إنه وحش وليس من جنس البشر، صور الشهداء والأشلاء المتناثرة هنا وهناك، كانت فظيعة وقاسية جداً بما لا يستطيع عقل احتمالها، لقد تأثرت كثيراً وبكيت بشدةٍ وبحرقة، ودخلت المشفى من شدّة تأثّري بيد الطالب المقطوعة الممسكة بحقيبته المدرسية، حتى في لحظاته الأخيرة لم يتخلى عنها.. نعم نحن خائفون من الطائرات، ولكننا لن نسمح لهم بأن يقضوا على أحلامنا ومستقبلنا.. وسندرس برغم كل الظروف.. وسنصبح أطباء لنداوي جراحنا العميقة، وسيُصبح منا مهندسون ليعيدوا ما دمّرته طائراتهم.. ولن تُخيفنا أو تُثنينا الطائرات والصواريخ.. نحن شرارة الثورة، نحن مَن أشعل فتيلها عبر أطفال درعا، وسنستمر على نفس الطريق حتى ننال الحرية والعلم والعُلا معاً».

شتاء جديد في حضرة مخيمات النزوح

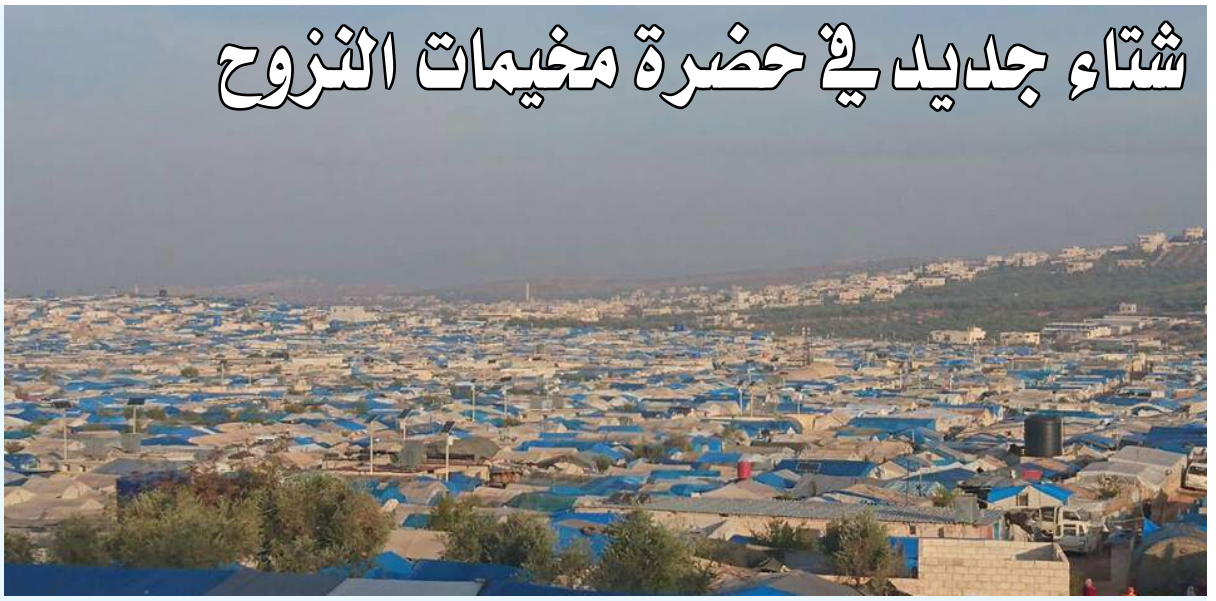

كانت السنوات الماضية خير شاهد على معاناة النازحين السوريين في المخيمات، بما سجلته من مآس وكوارث، وها هو ذا شتاء جديد يُقبل حاملاً في طياته الكثير من تفاصيل المعاناة والقهر، وقصص كثيرة تروي صراع الحياة والموت في سوريا عموماً، أما هنا في المخيمات حيث يرقد الطفل في فراشه ليستيقظ صباحاً على فراش قد غرق في مياه الأمطار، أو ربما اقتلعت العواصف خيمته قبل أن يحل صباح اليوم التالي، ليعيش الأطفال قبل الكبار صراعاً من نوع آخر، صراع البرد والدفء، والأمل واليأس، أمل في أن تنتهي مآسيهم ويأس من حياة كريمة هادئة كبقية شعوب العالم، فيما لو استمر الوضع على ما هو عليه حالياً، لاسيما في ظل التعقيدات التي تطرأ يوماً بعد يوم، ووسط النقص في كل شيء داخل المخيمات خصوصاً.

خاص زيتون

مع أول عاصفة مطرية ضربت المخيمات في شهر تشرين الأول الماضي، رصدت «زيتون» أحوال أكثر من 21 مخيماً من تجمع مخيمات الشمال السوري، حيث يقطن نحو 170 ألف نازح، والتقت العديد من الأهالي والإداريين للوقوف على أوضاع المخيمات واحتياجاتها ومعاناة الأهالي ومتطلباتهم.

مشكلة الصرف الصحي ووعورة الطرقات

«محمود رجب» من سكان القاطع الجنوبي في مخيم أطمة، قال لـ «زيتون»: «كافة الطرق في المخيم أصبحت مجار للصرف الصحي بعد أن سلط الأهالي تصريف خيامهم للطرقات، وهذا بدوره يؤدي لحوادث يومية فضلاً عن اضطرار معظم الأهالي لعبور هذه السواقي الملوثة، وهذا كله يُضاف إلى الأمراض والأوبئة التي سبّبتها لأطفالنا وستسبّبها إن بقي الحال هكذا».

وأضاف: «إن التكلفة التي تضعها المنظمة شهرياً لسحب الصرف الصحي من الحفر الفنية كفيلة على مدة أربعة شهر لتمديد شبكة صرف صحي لكامل المخيم، وبهذا تُحلّ المشكلة»، معتبراً أن مشكلة الصرف الصحي تُهدّد وجود الأهالي لما لها من مخاطر على صحّتهم.

«عقيل حسين» طالب في الصف الثاني، في مدرسة الحكمة بمخيم أطمة، يقول: «أتمنى أن أعود إلى قريتي وأدرس في مدرستي، الطريق إلى مدرستي الجديدة وعر، وأنا أجد صعوبة في الوصول إليها، ففي معظم الأيام أصل إليها بثياب ملوّثة بالطين والأوساخ، ولذلك كثيراً ما أمتنع عن الذهاب إليها».

«كنانة عرفات» أحد عمال المخيم وسائق صهريج مياه، يقول: إن «مشكلة الصرف الصحي، باتت من أصعب المشاكل التي تواجهها المخيمات حيث أصبحت الجور الفنية التي حفرها الأهالي تطوف وتجري مياهها على الطرقات، وتؤدي أحياناً إلى غرق بعض الخيام، ومع ما تعانيه الطرقات في المخيمات من وعورة كثيراً ما تؤدي لحوادث».

ويضيف: «كنا قد طالبنا المنظمة الداعمة لمشروع الصرف الصحي، بزيادة نقلات الصهاريج لسحب الجور الفنية، لكن النقلات مازالت قليلة وغير قادة على تلبية الاحتياجات».

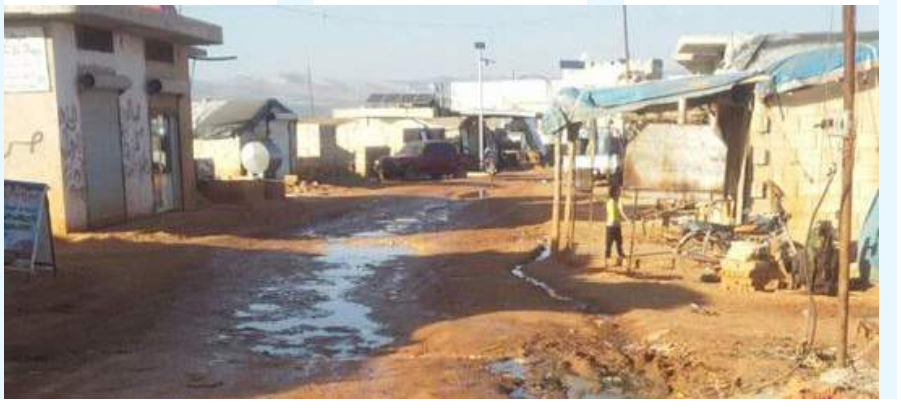

مدير مخيم البنيان المرصوص شمال جسر الشغور «عبد الجبار خليل» قال في حديث لـ «زيتون»: إن «الطرقات أصبحت في المخيم أكثر وعورة، ولذلك بعد منتصف تشرين الثاني، بدأنا في المخيم وبدعم من جمعية البنيان المرصوص بمشروع تأهيل الطرقات وتعبيدها، وهو مشروع في غاية الأهمية وخاصة بعد دخول فصل الشتاء، وسيشمل المشروع جميع الطرق الرئيسية والفرعية في المخيم».

وفي هذا السياق قال مراسل «زيتون» الذي زار تجمع مخيمات الشمال: إن «مشكلة وعورة الطرقات وإن تمّ تداركها في مخيم البنيان المرصوص فقد بقيت كمشكلة يعاني منها أكثر من 100 مخيم آخر، فهو مخيم واحد من بين كل تلك المخيمات، فضلاً عن استمرار مشكلة الصرف الصحي في طرقات المخيمات، والتي تشكّل للأهالي صعوبات يومية ومخاطر صحية.

المدارس والتعليم

بالإضافة إلى سوء وضع الطرقات ووعورتها واضطرار الأطفال طلاب المدارس لعبور البرك الطينية ومجاري الصرف الصحي أثناء ذهابهم إلى مدارسهم، تقف العديد من المشاكل الأخرى في وجه طلاب المدارس في المخيمات، والتي تتصدّرها مشكلة عدم وجود مركزية للمدارس ضمن القطاعات (أي بعدها عن الكثير من طلاب القطاعات الأخرى)، إضافةً لانعدام وسائل التدفئة، والنقص الحاد في الكتب المدرسية والمرتبات الشهرية للمعلمين وغير ذلك.

«فاطمة خنوس» طالبة في المرحلة الابتدائية، قالت لـ «زيتون»: «أخاف أن يمنعني البرد من القدوم إلى المدرسة، خصوصاً أنها بعيدة عن خيمتي، وأنني أصل إليها يومياً متجمّدةً من البرد، وأيضاً مبللة من الطين والأوساخ على الطرقات، وما زلت في انتظار شراء مظلة قبل هطول الأمطار».

عضو مجلس الإدارة في تجمع أطمة «أحمد العمر» قال لـ «زيتون»: «في القطاع التعليمي ضمن المخيم، نقتصر لأبسط مقومات العملية التعليمية وهي الكتاب المدرسي الذي لم نستطع تأمينه، كما أن عدداً كبيراً من المدرسين يعملون كمتطوعين بلا مرتبات منذ أكثر من عام، أما التدفئة فهي معدومة تماماً، وتخلو المدارس من أي وسيلة تدفئة على الإطلاق»، مبيناً أن المنظمات تكتفي بطلب إحصائيات ومعلومات وحسب.

مشكلة الإغاثة والاستعدادات لفصل الشتاء

يقول «أحمد العمر»: إن السنتين الماضيتين شهدتا قلة في المساعدات التي تخص الألبسة الشتوية والبطانيات وحليب الأطفال، وقد أثقل ذلك كاهل العائلات الفقيرة التي لا تتمكن من تأمينها.

وأضاف: «إن الدعم المادي يحول أمام أي مشروع يخص الأهالي، وجلّ ما نستطيع فعله هو التواصل مع المنظمات والجهات المعنية وتقديم المعلومات والإحصائيات علّها تأتي بنتيجة لصالحهم».

مشكلة نقص الخيام.. مشكلة العائلات السورية والعراقية على حدّ سواء

«أحمد العمر» كإداري في مخيم أطمة، عبّر عن مشكلة نقص الخيام بقوله: «تتصدر أزمة نقص الخيام حاجات المخيم، حيث تَفِد العائلات يومياً إلى المخيم في ظل موجات كبيرة من النزوح، حيث نضطر لإيوائهم مؤقتاً في مساكن جماعية كالمساجد وغيرها، ريثما يتم تأمين كميات إضافية، كما أن كميات المياه محدودة جداً في المخيمات».

بينما قال مدير مخيم البنيان المرصوص «عبد الجبار خليل»: «إن الحاجة للخيام ازدادت مع موجات النزوح، وإلى الآن لم يتم تأمين الكميات اللازمة من الخيام».

وأضاف: «هذه المعاناة ذاتها عاشتها العائلات العراقية التي وصلت لمخيم العمر، شهر تشرين الثاني الجاري، حيث إلى الآن لم يتم تأمين سكن لهم، وهي الآن تقيم في مسجد المخيم»، مشيراً إلى أن عدد العائلات العراقية الوافدة إلى المخيم هو 15 عائلة.

هذا وعبر رصدها لمخيمات الشمال طيلة الفترة الماضية، تمكنت «زيتون» عبر مصادرها الخاصة، من الحصول على إحصائية دقيقة للأضرار والاحتياجات في مخيمات الشمال بما يخص الخيام والغرف التي تم إنشاؤها مؤخراً، والتي تصدّرت قائمة احتياجاتها الحاجة للعوازل المطرية، إضافةً إلى حاجة هذه المخيمات لرصف الطرقات وإعادة تأهيلها من جديد.

ووفقاً للإحصائية، توجد 3994 خيمة غير صالحة للسكن على الإطلاق بحاجة لاستبدال كلي، وأكثر من 3849 خيمة بحاجة إلى عملية إصلاح تختلف من خيمة لأخرى، وأكثر من 8529 خيمة و 2840 غرفة بحاجة لعوازل مطرية.

كما يحتاج 124 مخيماً لرصف وتعبيد وإعادة تأهيل طرقاته الترابية التي تحوّلت إلى طرق طينية تتوسطها برك مياه وعلى حافتيه مجار للصرف الصحي (في ظل مشكلة الصرف الصحي السابقة الذكر)، يضطر الأهالي أثناء تنقلهم للمرور عليها يومياً ولاسيما طلاب المدارس.

من تدمر إلى تركيا.. رحلة الفرار من الموت

وضحة عثمان

«هدى» فتاة سورية من مدينة تدمر بمحافظة حمص، تخرجت من كلية الحقوق وعمرها 21 عاماً، وتقدّمت للامتحان المعياري لدراسة الماجيستير في جامعة دمشق، وحصلت على أعلى الدرجات في الامتحان المعياري، واقتربت من تحقيق حلمها بدراسة ماجستير في القانون الدولي، وبدأت بالفعل عام 2011، ووصلت إلى مناقشة رسالة الماجستير في عام 2011، لكن ظروف البلاد حالت دون ذلك، بسبب رفض موضوع الرسالة وازدياد الاشتباكات على طريق دمشق- حمص، وعندها خابت آمال هدى وتبدّدت أحلامها، وكان الشيء الوحيد الذي خفّف عنها ألمها هو حصولها على وظيفة مدير إداري في إحدى الهيئات العامة في مدينة تدمر، وبمرتّبٍ ممتاز.

إلّا أن فرحة هدى لم تدم طويلاً، فقد كانت مدينتها تدمر على شفى حفرة من نار، والاشتباكات وأصوات الرصاص تكاد لا تتوقف، فضلاً عن الشعور الدائم بالخطر، والذي تحوّل إلى حقيقة عندما سقطت قذيفة في المنزل المجاور لمنزل هدى، وسقط عدد من الشهداء والجرحى، واضطرت عائلة هدى للنزوح إلى حيٍّ آخر، حيث تسكن أختها.

وبعد عدة أيام من الاشتباكات المتواصلة بكافة أنواع الأسلحة الثقيلة والخفيفة والمتوسطة، سيطر تنظيم داعش على مدينة تدمر، وباتت المدينة هدفاً للطائرات.

وفي إحدى الليالي الرمضانية، وبعد الإفطار بنصف ساعة، بدأت الطائرات بالقصف، وتعرض منزل أختها للقصف، وأصيبت أختها الأخرى وزوجها وأطفالها الثلاثة، كان منظر أبناء أختها كمنظر أطفال صبرا وشاتيلا، وكانت إصابة أختها وزوجها بليغة، فما كان من عائلة هدى إلّا أن استعانوا ببعض المعدات الطبية المتواضعة ومضوا بابنتهم وزوجها المُصابَين في الصحراء، حتى تحسّنت حالتهما الصحية وهاجروا بعدها إلى أوروبا، وهنا فقط بدأت الفكرة تجول في خاطر عائلة هدى بالخروج من سوريا نهائياً، وبين مؤيدٍ ومعارض للفكرة، وبعد شهور من النزوح القسري تحت ضربات الطيران، تجرّعت خلالها العائلة المرار الأكبر، بدأت الرحلة.

قافلة الموت

قررت عائلة هدى الذهاب إلى تركيا، وعبرت العائلة مناطق سيطرة التنظيم، بطريقة التهريب، بشاحنات كبيرة تحمل حمولة من الملح، وتحت الملح تكدّس 48 شخصاً من نسوة وأطفال ورجال، في مكان لا يتجاوز طوله المترين، وارتفاعه لا يتجاوز المتر، وفتحةٍ للتنفّس لا تتجاوز أبعادها 2 سنتيمتر طول ونصف سنتيمتر عرض، وبعد 18 ساعة في شاحنات الملح، كادت تودي بحياة الكثيرين ممن بداخلها، حتى أطلقوا عليها اسم قافلة الموت، وصلت هدى وعائلتها إلى بلدة حزانو بمحافظة إدلب.

لكن السعادة لم تكن حليفة العائلة في حزانو أيضاً، ففي عصر اليوم التالي لوصولها تعرّض المنزل الذي مكثت فيه عائلة هدى، والكائن بجانب مقبرة البلدة، لقصف من الطيران الحربي أدى لسقوط عددٍ كبير من الشهداء، وأمضى أهالي البلدة ليلتهم في دفن شهدائهم في مقابر جماعية تحت وطأة القصف وعلى مرأى عائلة هدى، وأدركت العائلة أن الحظ السيء حليفهم في سوريا، ولذلك قررت الفرار من الموت النفسي، ووصلت تركيا في شهر شباط عام 2014، في ليلة من ليالي الشتاء القارس، رأت فيها عائلة هدى برغم قسوة برودتها الخلاص من الخوف والموت.

الحياة الجديدة والتأقلم معها

عملت هدى لدى وصولها إلى تركيا في قطاف البصل، في ظل عدم وجود أخٍ شاب يُعيلها، ثم عملتْ مدة طويلة مع والدتها في تزيين الملابس وتطريزها بالحرير والخرز، على الرغم من عدم امتلاكها خبرة سابقة بهذا العمل، وكان العمل متعباً جداً لها، واستمرت على هذا المنوال مدة عام ونصف، إلى أن طلب مكتب العلاقات السورية التركية تسجيل شهادات الخريجين الجامعية، عندها ذهبت هدى وسجّلت لدى المكتب، وحصلت على إثرها على فرصة العمل مع المكتب في مجال يشبه مجال دراستها.

وبالرغم من قسوة الظروف، وعدم سهولة التأقلم مع الحياة الجديدة والبيئة الجديدة، إلّا أن هدى وعائلتها وجدوا فيها خلاصاً من طائرات الحقد الأسدية.

هدى هي إحدى الفتيات السوريات الحاصلات على شهادات جامعية، وأجبرتهن الظروف على العمل في مجالات أخرى لتأمين قوتهن وقوت عائلاتهن.

ابنة دير الزور الشاعرة سميرة بدران لزيتون:

بعد أن انتشر الموت في الأزقة والحارات، صار الهم أكبر ولم يعد الكلام يفيد، الصدمة جففت الحبر، وقدسية الدم الذي سال أفقدنا القدرة على الكلام.

من ضفاف الفرات الى مدينة غازي عينتاب، رحلة قطعتها الشاعرة سميرة بدران أولى اللواتي وقفن على منبر الشعر الأنثوي في مدينتها، لتروي قصة عشتار التي سكنتها حتى صوبت تفاصيل حياتها بما يتناسب وقدسية هذه الآلهة التي جعل منها الدارسون سيدة المتناقضات.

وعن مدينتها تقول: دير الزور المنسية منذ الأبد، الطيبة، الحنونة، المؤثرة، والصامدة، النائية كما سماها السوريون، تحزن، لبعدها عن المدن الحاضرة أخواتها، لعل حزنها توزع علينا نحن أهلوها بالتساوي، ليس حزناً ماتقرأه بين كلماتي، ربما هو العتب ليس إلا.

- بين كل هذا الزحام والركام السوري من هي سميرة بدران؟

أنا امرأة ملّت الهمسَ
والحبو.
وآثرت الصراخ والعدو
فالألوان ماعادت هي الألوان
وضفتي المعقودة على كتف
الفرات
يفصلني عنها دهر من
الانكسار
وجيشٌ من الغدر والقطيعة
أصرخ.. لأحيا
علَ (هُبَلهم)
يخرج من حيِّز خيبته
معلناً شرف الهزيمة..

- كيف تعرفت بنت الفرات الى عشتار؟ من هو العراب الذي دلك الى شياطين الحب والشعر؟

منذ أن تجولت في عوالمها تلبّستني، كان ذلك في بداية شبابي، قرأتها طويلاً حتى ارتويت، لكن قراءتي كانت تأخذي دائماً إلى الخصب والبذل والعطاء والربيع والجمال.. من هنا نمَت في داخلي حتى جعلتني هي..
أذكر أمسيّة لي في حلب (نادي شباب العروبة) ألقيت قصيدة لي تغنيت بعشتارتي وسبحت في عوالمها.. فوقف فنان تشكيلي مشهور قائلاً: أقسم أن عشتار القرن العشرين أمامي.. إنها تأسرني وتدخلني طائعاً لعوالم عشتار البابلية.
كنت أزداد زهواً وتعلقاً بها.. حتى أنني صرت أصوب تفاصيل حياتي بما يتناسب وقدسية هذه الآلهة التي جعل منها الدارسون سيدة المتناقضات.

أما من دفعني لاقتراف الكتابة والشعر فأنا أرى أن هذا الدرب هبة وقدر، إذ كتبت أولى قصائدي وأنا في الصف السابع، قبل أن أتجه لالتهام كل ما تقع عليه عيناي من الشعر قراءة وتذوقاً، لكن فدوى طوقان وهند هارون ونازك الملائكة كن معي دائماً، أما محمود درويش ونزار قباني فأهيئ طقس قراءتي لهما كل مرة حباً وشوقا، لي خطي الذي يختلف عنهم جميعاً ويتفق معهم جميعاً.

- تبدو الرغبة جامحة في كتاباتك للحرية والانعتاق من موروثات المجتمع، الى أي حد سجنتك تلك التابوهات، وكيف كيفت القصيدة لتقولي مالا يقال؟

كنت أول من وقفت على منبر الشعر الأنثوي في مدينتي التي تنام على كتف الفرات وتجنح إلى البساطة والهدوء، ففي عام 1986 وعلى مسرح المدينة الصغيرة ألقيت أولى قصائدي بجرأة لم يعهدها أهلوها الطيبون، نعم هي جرأة، وقفتي هذه كانت الخطوة الأولى في الانعتاق من الكثير من القيود البالية، دعم أسرتي لي واهتمام والدي ودعمه المستمر كان التميمة التي جعلتني أتخطى كل العقبات التالية.
ولأن الثقة الكبيرة والدعم القوي مسؤولية واعتبرتها تكليفاً لي، عملت على صقل موهبتي ووسعت في مساحة ثقافتي الأدبية.
كان يشغلني الهم العام كثيراً، لكن طرق بعض الأبواب محظورة، ودخولها مخاطرة، لذلك لففت خطابي ببعض الرمزية، وغلّفت صوتي بكثير من الخيال، خاصة وأنني تعرضت أكثر من مرة بعد بعض الأمسيات للاستجواب والمساءلة من قبل النظام الحاكم.
أما في بناء القصيدة فقد كنت أشعر أن العمود كان قيداً ثقيلاً، لذلك اتجهت إلى شعر التفعيلة الذي كان يستوعب كل ما أريد البوح به بحرية، رغم أنني كتبت الشعر العمودي أيضاً.

- يقول البعض إن الشاعرات نساءً متمردات وجريئات، وإبداعهن انحراف محرم، فلا يحق لهن مايحق للرجل؟

ربما هو الفهم الخاطئ للإبداع، الفهم الخاطئ للأدب، والمقولة الأزلية (المرة مرة والرجل رجل) التي زرعت في ذات المرأة الشعور بالظلم، وفي ذات الرجل الغرور والتسلّط، المرأة تحت الضوء الساطع من قبل الرجل في مجتمع ذكوري، كل ماتقوم به محسوب عليها ومحاسبة عليه، إن دخول مجال الأدب مثل كل المجالات الأخرى لا يختلف عنهم بشيء، لكنه يتوجه إلى كل شرائح المجتمع ويتلقاه الجميع وهنا يبدأ التشريح و التقييم.
الشعراء يعتلون المنابر، يتغزلون ويوغلون في الوصف والتغني، وهو أمر عادي في مجتمع يعتبر صوت المرأة عورة، فكيف بوقوفها على منبر!.
قيل عني يوماً متمرِّدة رغم أني لم أدخل في ميادين التغزل أو التغني بالحبيب، وعانيت كثيراً حتى استطعت أن أجد لي موطئ قدم في عالم يلغي النساء المبدعات الحقيقيات، ويرفع من نساء لايمتلكن الموهبة ولا الثقافة لغايات ترضي غرور المتثاقفين القائمين على الأمر و القرار والسلطة.

- هل ساعدت الثورة على ايجاد دوراً أكبر لحضور المراة في الحياة الأدبية أم العكس وهل ترين كشاعرة وأديبة أن هنالك فرقاً حقيقياً بين أدب نسائي وأخر ذكوري؟

الثورة أبعدت المرأة ولم تساعدها على الإبداع وتطوير الذات، فحضور المرأة كان في النكبات والمجازر وتحملت الدور الأكبر في لملمة شتات أسرتها، إنهيار المجتمع بدءاً من الأسرة هو ما شغل النساء في سورية، همومها كانت أكبر من نص أدبي تقدمه لمجتمع همه الأكبر الحياة والوجود والخبز.
في بداية الثورة حاكت بعض النساء الأهازيج المحرضة والداعمة وأنا منهن، لكن بعد أن انتشر الموت في الأزقة والحارات، وعم الخراب كل بقعة في الوطن، صار الهم أكبر ولم يعد الكلام يفيد، الصدمة جففت الحبر، وقدسية الدم الذي سال أفقدنا القدرة على الكلام، نتفٌ من العبارات تنسل بين حين وآخر، لا تعبر عما يختنق في الصدور من وجع.

- ما التفاصيل الصغيرة تلك التي تفتقدينها وأنت بعيدة عن الفرات وسوريا؟

أفتقد مكتبتي وهو افتقاد مرٌ للغاية، ثم كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة الأخرى، لكن ما يطفئ نار افتقادي، الغياب الذي ألمّ بمجتمعي الصغير هناك، ذهب الكثير من الصحب والأهل والجيران بين مهجر ومفقود ومعتقل وشهيد، وبات كل ما هناك ممجوجاً بدونهم، تهدأ النفس عن شوقها وتعاف النفس كل ما دونهم.

- هل استمرت سميرة بدران بالعمل الثقافي في بلاد اللجوء وأي المواضيع هي التي تناولتها؟

هنا في تركيا كنت من مؤسسي ملتقى حران الأدبي وهو يجمع جنسيات الأدباء المختلفة، هدفه تقديم الحضارة الاسلامية والأدب العربي بأبهى صورة، كما أنني أدير المكتب الثقافي في هيئة السوريين في أورفة، وأساهم مع فريقي في بناء الجسور للمحافظة على الأدب السوري ودعم الثقافة الثورية، شاركت بأمسيات شعرية في ذكرى انطلاقة الثورة وأخرى لمنبر الشام في عينتاب عن حصار المدن، وللحصار الخانق في دير الزور قمنا بحملات لفك الحصار ولي قصائد بهذا.

- في الختام نود أن نفهم سر هذا الحزن في نصك؟ أهو بسبب ذاك النهر الذي ظل يفيض بكل تاريخ اوجاعه؟

بل لأن ما يحيط بنا يشي بكل هذا، لعل الشفافية التي منحني إياها الله هي السبب، الفرات رغم مايوحي للآخرين به من حزن إنما هو الفرح المقيم، هو السكينة والهدوء الرباني المقدس.
دير الزور المنسية منذ الأبد، الطيبة، الحنونة، المؤثرة، والصامدة، النائية كما سماها السوريون، تحزن، لبعدها عن المدن الحاضرة أخواتها، لعل حزنها توزع علينا نحن أهلوها بالتساوي، خاصة وأن هذا البعد وما ترتب عليه من طقس متقلب ومناخ صحراوي، أكسبنا متناقضات كثيرة ومزاجية تختلف عن أخوتنا في المدن الأخرى.
ليس حزناً ماتقرأه بين كلماتي، ربما هو العتب ليس إلا.

الاختباء خلف الجائزة

تُستخدم الجوائز الثقافيّة لأغراض سياسيّة متعدّدة، فمنها لتعزيز مواقف لجماعات أو أفراد، ومنها لاستبعاد التركيز عن غيرها. وتختصّ الأنظمة القمعيّة بابتداع جوائز وتكريمات تلمّعها، وتمجّد رموزها، وتحاول عبرها رسم صورة مغايرة للواقع، إلى درجة إلغاء الحقائق، وكتابة تاريخ آخر.

بشار فستق

لم يحظ المفكّر السوريّ جلال صادق العظم بأيّ تكريم أو جائزة رسميّة، بل العكس، فقد منّع من العمل في بلده، ومُنح غيره ممن لا يستحقّون الجوائز والتكريمات، وفُتحت لهم أبواب الجامعات ووسائل الإعلام.

كما أُنشئت جوائز ومهرجانات ومَعارض باسم ابن حافظ الأسد، الذي لا يمتلك أيّة صفة رسميّة، أو قيمة فكريّة، سوى أنّه مات بحادث سيّارة كان يقودها بسرعة كبيرة. فصار باسمه جوائز للإبداع والتفوّق، وتحوّلت أسماء مهرجانات ومسابقات ومعاهد وجمعيّات إلى اسمه، وصار شهيداً، وتندّر السوريّون بطول سلسلة الصفات التي يحملها قبل اسمه، فقد سبق عمّه رفعت، ولا أحد يدري كيف ومتى وأين كانوا يحصلون على شهادة الدكتوراه التي صارت في سورية هزلاً، ومضرب مثل في السخرية ممن حملها وهو لا يفقه شيئاً.

كذلك الأوسمة التي لطالما مُنحت بأشكال مشوّهة، فقد نال فنّانون أوسمة رفيعة لأنّهم كانوا ينفّذون ما تريده السلطة، ويرتبطون ارتباطاً وثيقاً بالأجهزة الأمنيّة مثل دريد لحّام، أو لإسكاتهم كالسيّدة منى واصف، بعد مشاركتها ثمّ انسحابها ممّا عرف في بداية الثورة السوريّة بـ «بيان الحليب» الذي وقّعه فنّانون إدانة لحصار درعا ومنع الغذاء عنها.

ويمنح الفنّانون المرضيّ عنهم، ليس الأوسمة والجوائز بل الفرص المتوالية، وبالطبع هذا ما يأخذ حقوق غيرهم الذين يحرمون منها. فقد استولى – مثلاً – أمين الخياط على فرصة الظهور في معظم الحفلات التلفزيونيّة كقائد للفرقة الموسيقيّة، كما ورّث (التوريث خصوصيّة أسديّة) قيادة الفرقة الموسيقيّة الموضوعة دائماً أمام الكاميرات إلى هادي بقدونس الذي أثبت بدوره ولاءه، ومازال يظهره في كلّ مناسبة، ودون مناسبة، مُشبّحاً في كلّ لقاء، على زملائه الفنّانين أوّلاً وعلى الشعب دائماً، فهو يهدّد زملاءه المنتسبين إلى النقابة اتّباعاً لمدرسة زهير رمضان، وينزرع في وجه المتفرّج على الشاشة، ففي احتفالات ما سمّي بمهرجان المحبّة (تحوّل اسمه إلى باسل) كان يقود الفرقة في اللاذقيّة ويطير في نفس اليوم إلى دمشق ليظهر في حفل منقول، أو ليسجّل، كأنّه قائد الفرقة الموسيقيّة الوحيد في سورية ولا أحد سواه، وبمستوى فنّيّ مخجل من شدّة تدنّيه.

وقد ظهر في تسجيل وهو يعزف مقطوعة كلاسيكيّة معروفة، لم يستطع المختصّون حصر عدد النشازات التي أصدرها.

يتسابق أمثال هؤلاء إلى مديح رئيسهم والمطالبة بأن يَقتل أكثر، كأنّما ينقصه هذا، ويعطيهم المناصب التي تتيح لهم الظهور أكثر، كأنّما لا ذاكرة للناس! فعندما يطالب نجدت أنزور كما طالب أحمد حسّون (مفتي الأسد) بالمزيد من القصف، ماذا ينتظر بالمقابل ممّن يُقصفون اليوم؟ هل سيعامل الناس والتاريخ أمثال هؤلاء معاملة أخرى غير بقيّة أفراد العصابة القاتلة؟.

كلّ الجوائز والأوسمة والمهرجانات لن ترفع من قيمة المجرمين قيد أنملة، لن تبيّض صفحاتهم المطليّة بالعار والدم، عار الخيانة ودم السوريّين، ولن تمحي آثار وقوفهم في صفّ القاتل كشركاء، وستصير هذه الجوائز أدلّة إضافيّة على الشراكة، كذلك لن يفيد العصابة الحاكمة أن تقف معها وتشجعها فئة تدّعي الفنّ أو الإنسانيّة وهي تطالب بالمزيد من القتل، فئة تستدعي الاحتلال وتطبّل وتزمّر له، وتخدع نفسها بأن تعتقد بأكبر أخطاء في تاريخ البشريّة، وهي أنّ الشعوب قد تُهزم أو تنسى أو تموت.

الوثيقة والخيال عن دمشق "عين الشرق"

المحرر الثقافي

المزيج الفنّيّ في الأحداث والانتقالات الزمكانيّة والشخصيّات والنظر إلى المسألة من زوايا جديدة بالتناول التوثيقيّ والفنتازيّ يجعل رواية «عين الشرق» للكاتب السوريّ «إبراهيم الجبين» عملاً يبحث بجدّ عن الرواية السوريّة الجديدة التي تنبت مع الثورة السوريّة.

تنطلق الرواية بشكل جليّ من اعتبارات الثورة السوريّة، وبنظرة ثوريّة إلى الواقع الحيّ، فالنظر بعين جديدة إلى ما اعتدنا عليه، وسلّمنا به، أو ما لم ننتبه إليه أصلاً، وكأنّنا أمام تغريب بريشتيّ روائيّ، يضع «الجبين» مجريات لم تناقَش، ويعيد قراءتها طارحاً المسألة أمام المتلقّي.

فما هي القصّة الحقيقيّة للمدعو «كامل أمين ثابت»، الذي كاد أن يشكّل حكومة سوريّة، ثمّ أعدم في منتصف الستينيّات، باعتباره «كوهين» وقيل بأنّه جاسوس يعمل لصالح إسرائيل؟ وماهيّ علاقة المدعو «علي أحمد سعيد» المعروف بـ «أدونيس» بالمخابرات السوريّة؟؟

كما يعيد قراءة يوم موت «حافظ أسد» ليحقّق فيه، ويورد تفاصيل عائليّة جرت ضمن العائلة تكشف مسائل تستدعي إعادة النظر في بنيتها، كأنّما يطالب الكاتبُ القارئَ بالتساؤل.

وتبدو مقدرات «الجبين» الإعلاميّة وخبرته جليّة في تتبع الحدث، والإمساك بالمفاصل المشوّقة للمجريات اليوميّة الإخباريّة. مع أنّه يترك الغموض ليلفّ حقائق أخرى، لا يكشف ما أصبح معروفاً في قضيّة فُرشت إعلاميّاً وقضائيّاً، كاغتيال «رفيق الحريري» رئيس وزراء لبنان الأسبق، قبل خروج القوّات السوريّة من لبنان عام 2005، ويترك الروائي «إبراهيم الجبين» لنا الكثير من المسائل لنحلّها، وبالأصح لنعيد التفكير فيها، ونتخلّى عن سطح الخبر وعناوينه لنغوص في بنية الأنظمة وعلاقاتها.

تمنح الحبكة البوليسيّة للعديد من الأحداث متعة وتشويقاً للقارئ، ولكنّ المسائل المعلّقة والمتروكة للقارئ تزيد في المشاركة، وترفع القيمة الفكريّة، إذ تفترض إعمال العقل والخيال استكمالاً للبحث في المسائل العديدة المطروحة، قديمها وحديثها، عبر عشرات الشخصيّات.

نبع المكان الرئيسيّ في الرواية هو مدينة دمشق «عين الشرق» لكنّ دمشق ليست مكاناً فقط، فهي تاريخ، أي زمان، لذلك تعود الرواية إلى الوراء مئات السنين أحياناً، ثمّ ترجع إلى الأمس القريب، أو إلى الآن، ولأنّ المكان دمشق تمكّنت الرواية من الانتقال إلى المدن السوريّة، لتكشف ما يجري في كلّ العالم.

في دمشق التاريخ في كلّ مكان، فكيف في سجنها!؟ ستجد في زنزانة ما هناك «ابن تيميّة»، وستجد بذور الثورة وأسبابها، وتلمس لحظة كُتب فيها على جدارن درعا «إجاك الدور يا دكتور... ارحل».

انحباس الأمطار، والزراعة تحت رحمة السماء

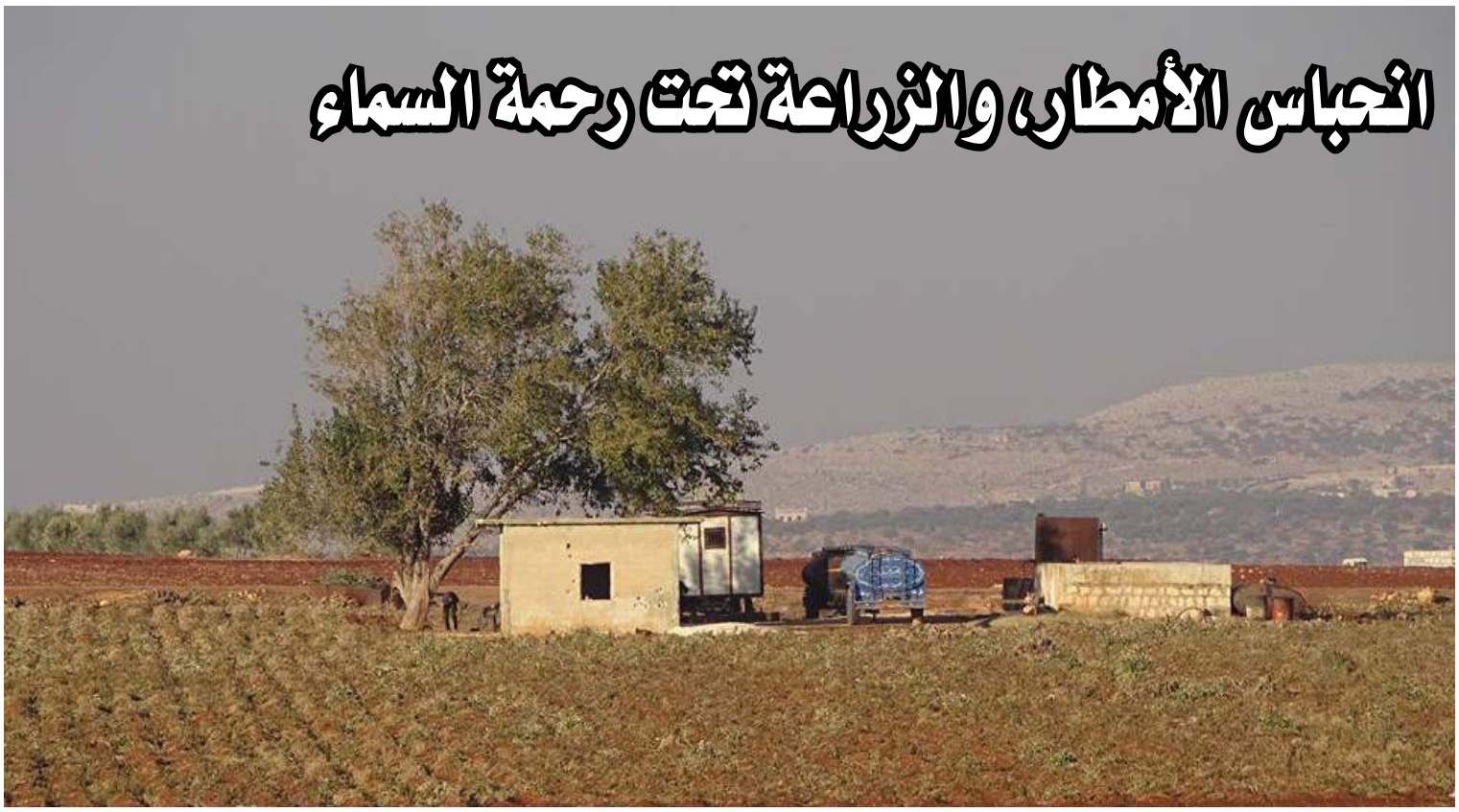

«مر تشرين الثاني وما زالت التربة حمراء، ولا زلنا ننتظر الغيث من الله حتى نستطيع حرث حقولنا» بهذه الكلمات يعبر عبد المنعم الخطيب أحد فلاحين قرية الجدار في ريف ادلب الجنوبي عن تأخر تساقط المطر لهذا العام، ويتخوف الخطيب على مصير الزراعة والمواسم في حال لم يتساقط المطر خلال الأسابيع الثلاثة المقبلة، ويقول إن الأمر ينذر بأزمة زراعية.

وسيم درويش

وتشهد سورية والمنطقة عموماً انحباساً للأمطار لم تشهده منذ سنوات طويلة، وقد يكون تأثيره كارثياً على المزارع السوري لاسيما في ظل تراجع القطاع الزراعي جراء الحرب التي تشهدها البلد.

وتعد الأمطار عاملاً أساسياً في استقرار الإنتاج الزراعي والحيواني على السواء، وتغير موعد هطول الأمطار أو تأخره وقلتها قد يؤدي إلى صعوبات زراعية خاصة بالنسبة للمحاصيل الزراعة المحلية البعلية، حيث يمكن أن تهطل الأمطار في موسم الحصاد ما يجعل المحاصيل قابلة للتعفن والتلف.

ووسط ترقب المزارعين لمنخفض جوي يحمل بعض الأمطار فان حالة من القلق تنتابهم على محاصيلهم خشية انعكاس تقلبات الطقس المتكررة بين الحار والبارد على إنتاج الأشجار المثمرة والنباتات والخضراوات، ما يجعل حصيلة تعبهم طيلة موسم كامل في مهب الرياح، لاسيما وأن القطاع الزراعي بشكل عام كان قد تأثر في السنين السابقة من سيء الى أسوء الى حد دفع بالكثير من المزارعين الى تعطيل أراضيهم وتوقفهم عن الزراعة.

لن تكون هناك زراعات شتوية مروية كما السابق

المزارع عبد الرزاق كنجو من مدينة سراقب وهو يشرف على زراعة أرضه منذ أكثر من ثلاثين سنة قال:

«يقال بالأمثال الشعبية (أيلول دنَبَهُ مبلول) أي أن المطر يبدأ في آخر أيلول، وها هو يمر تشرين الأول وتشرين الثاني ولم تنزل سوى مطرة واحدة، لم تفيد البذار لأنها غير كافية، بل قد تتسبب هذه المطرة بتعفن البذار تحت الأرض إن لم تكن السقاية سقاية إنبات.

وبالنسبة لشجر الزيتون فهو يحتاج لمطرة على الأقل قبل القطاف لكن القطاف شارف على الانتهاء ولم يهطل المطر، لكن السنة لا يوجد حمل ولا قطاف ولا موسم أو حتى ربع موسم للزيتون».

ويضيف كنجو: «برميل المازوت المكرر والرديء بـ (٦٥) ألف ليرة سورية لذلك لن تكون هناك زراعات مروية شتوية كما السابق، مثل العدس والحمص والقمح والكمون واليانسون والفول وهي محاصيل تحتاج للمطر بشكل ضروري لينبت البذر، وهذا يعني أن المزارع صاحب الأراضي المروية سيخسر في هذا الموسم، أما الأراضي البعلية فسيموت زرعها طبعاً إن لم يرحمنا الله».

المهندس الزراعي «خالد الخطيب» و أحد المهتمين بالزراعة في ريف ادلب الجنوبي قال لـ «زيتون»:

«إن المناخ السائد في محافظة ادلب هو مناخ جاف يتراوح معدل الأمطار فيه ما بين (490 – 500) مم سنويا، وكان من المفترض في الحالة الطبيعية أن يهطل حوالي (15٪) من نسبة الأمطار السنوية في مثل هذه الفترة من كل عام، وهذه النسبة مهمة للمزارع كون هذه الأمطار الخريفية تتميز بقدرتها على تأمين مرقد جيد من الحرارة والرطوبة لبذار المحاصيل الشتوية التي تزرع في مثل هذا الوقت ومنها البقوليات والقمح والشعير».

ويضيف الخطيب: «معظم المحاصيل الزراعية في منطقتنا وخاصة الأشجار تحتاج لمعدل مطري سنوي مابين (300- 500) مم وبالتالي لا يمكننا وصف الوضع بكلمة «كارثة» أو «جفاف» في منطقتنا حالياً، رغم ما لانعدام الأمطار المبكرة من تأثير سلبي وبشكل كبير على المحاصيل الشتوية.

أقدم بعض السقايات الداعمة قبل موسم الزيتون

«بهجت الحسني» أحد مالكي حقول الزيتون في قرية حزارين في الريف الجنوبي لمحافظة إدلب قال لزيتون:

«بالنسبة لمحصول الزيتون فموسم هذا العام يعتبر خفيفا، وترافقه مع قلة الأمطار أدى لانخفاض الإنتاج بحدود (70 ٪) عن السنة الماضية، وقد يسبب تأخر الأمطار الخريفية في هذا العام على نمو الأشجار، أما تأثير تأخر الأمطار على المواسم فتعتبر الأمطار الربيعية المؤثر الرئيسي في خصوبة الموسم ونوعيته، وينطبق هذا الكلام على أشجار التين والزيتون، ولكن لو هطلت الأمطار المبكرة لكان أفضل لجميع أنواع المزروعات. شخصيا أقوم في حالة الضرورة بتقديم بعض السقايات الداعمة قبل موسم القطاف أو في فترة الصيف من خلال الري بالصهاريج».

وعن الحلول الواجب اتخاذها يقول الدكتور مجدي الحسني: «دائما ما يمكن إجراء حلول في المساحات ذات الرقعة المساحية الصغيرة إذ يمكن تأمين بعض السقايات الداعمة من خلال آبار الري والصهاريج، أما في حال كانت المشاكل على المستوى المناخي العام فهذا يصعب من مهمة الجهات المعنية، كما أنه في حال الجفاف أو قلة تساقط الأمطار بشكل كبير فإن من شأنه التأثير حتى على تلك الآبار ونسبة المياه المتواجدة فيها».

لا خطط مستقبلية تنتهجها إدارة مدينة ادلب أو الحكومة السورية المؤقتة للتخفيف من حدة معاناة الفلاحين باستثناء توجه بعض المنظمات وخاصة المهتمة بالشق الزراعي منها بدعم زراعة القمح وتقديم قروض حسنة تسترد القروض من خلال شراء القمح من الفلاحين و بأسعار أعلى مما هو سائد في موسم التسويق، أو محاولات بعض المجالس المحلية في محافظة إدلب تقديم منح زراعية بسيطة ومتواضعة كسراقب وبنش لا تغني ولا تسمن من شيء.

أحمد ابن السادسة أمام الحرب

خاص زيتون

كبيرةٌ هي الخسائر التي مُنيت بها سوريا، وعميقةٌ هي الجروح التي فُتحت في الجسد السوري، لكن أكبرها وأعمقها تلك التي تكمن منتظرة فرصة تبلورها في المستقبل بشكل خطير.. الأطفال السوريون.

ولأن الطفل لوحة التقاط حساسة وبيضاء في الحالة العادية فهو يضاعف تلك الإمكانية لديه في الحروب والأزمات ليخزنها على شكل بذور ورؤى وصدمات نفسية قابلة للتضخم وملازمته لتشكل شخصيته المستقبلية.

يقول الطبيب مضر حبار أخصائي في الطب النفسي أن التعامل مع الأطفال ورضوضهم النفسية غاية في التعقيد والصعوبة وذلك بسبب عدم قدرة الطفل على التعبير عن مخاوفه وانفعالاته، ناهيك عن الأهل المنشغلين بحماية حياة أطفالهم أولاً والعاجزين ثانياًعن متابعة أطفالهم وملاحظتهم لاسيما في ظروف الحرب.

أحمد طفل في السادسة من عمره اعتقل أبوه على أحد حواجز النظام في معرة النعمان قبيل تحريرها، أثناء عودته من عمله، وأحمد ككل أطفال العالم متعلق بابيه، رافقه في مظاهراته يوم الجمعة وهتف معه للحرية على أكتافه.

ولأحمد جسم صغير وهو قصير نسبياً بين أبناء جيله وله لسان بليغ وكلمات واضحة وقوية، قلة من أقرانه الذين يملكون مثل هذه المقدرة، ذكي ومفرط بنشاطه الجسدي والفكري، فقلما يسكت أو يتوقف عن طرح الأسئلة والتعليقات.

تقول أمه لقد تغيير كثيراً بعد اعتقال والده، وصار يخاف من أي رجل مسلح ويعتبره خطرٌ عليه، يختبئ كلما رأى أحدهم ويقول: (سيعتقلوني مثل أبي)، كما صار عنيداً وعدوانياً وقلقاً وترافق نشاطه مع رغبة بالانطواء أحياناً.

وعن ذلك يقول الاخصائي في علم النفس جلاء خطاب: «قد تصاحب الصدمات حالات من الفوبيا (مخاوف مرضية) مزمنة من الأحداث أو الأشخاص أو الأشياء التي ترافق وجودها مع وقوع الحدث مثل الجنود، صفارات الإنذار، الأصوات المرتفعة، الطائرات... وفي بعض الأحيان يعبر الطفل عن هذه الحالات بالبكاء أو العنف أو الغضب والصراخ أو الانزواء في حالة من الاكتئاب الشديد.

عن مواقف أحمد من خسارة والده يقول عمه: لم يبك حين أخبروا والدته أن زوجها قد توفي في السجن تحت التعذيب، لكن عيناه التائهتين كانتا تبحثان عن معنى ذلك طوال الوقت.

ويضيف العم: نزحت أمه الى القرى المحيطة من مدينتها سراقب من خوفها عليه، وفي النزوح عانى الطفل من تهميشه في ظل فوضى الضيق، لذا فهو لا يحب النزوح، كما اضطر الى ترك المدرسة، ولم تعد دروس أمه مرغوبة لديه.

ورغم مرور أكثر من عامين على خبر وفاة والده إلا انه ما يزال يذكر والده ويقارن حياته بالحياة التي يمكن أن تكون عليه لو أن والده كان موجودا كما تقول أمه لـ «زيتون».

وتتابع: أحمد رجل البيت متمسك بمفاتيح أبيه، فهو الذي يتسوق لنا حاجاتنا، وقد يتشدد بخروجي من البيت ويسأل كثيراً عن الغرباء وما يريدون، له رأي لا يمكن تجاوزه، يعبر بشكل محرج لي عن محبته وكراهيته.

وتنهي بقولها: بعد وفاة جدته التي كانت الأقرب له بعد أبيه قررت اللجوء الى تركيا على أمل أن أوفر له مكاناً أكثر أمناً، منذ اسبوع أنتظر أنا وأحمد على الحدود السورية التركية فرصة للدخول بشكل غير شرعي، نقيم في خيمة أقامها المهرب لمن يعلقون على الحدود مثل الآلاف من السوريين، لنا في كل ليلة محاولة دخول، فشلت كلها حتى الأن، في ظروف غاية في البرد والتشرد والضياع.

"كان لنا جيران وأهل"

غسان شعبان

لا يكاد يخلو منزل في سوريا من الموت.. الإصابة.. الاعتقال.. فقد الأحبة.. النزوح والتشرّد وفقد الممتلكات أو أحد هذه الخيارات، فكيف إذا اجتمعت عدة خيارات في منزلٍ واحد!؟.

«زيتون» رصدت إحدى هذه الحالات التي تجسّدت بفقد الأحبة والممتلكات والنزوح.

«أبو محمد» من مدينة سراقب، واحد من بين ثلاثة إخوة، دمّر إجرام الأسد منازلهم تدميراً كلياً، وقتل أحدهم فباتوا أخوين مع بنات أخيهم الثالث بلا مأوى.

«غسان الخوجة» الملقب «أبو محمد» قال لـ «زيتون»: «كنا ثلاثة إخوة أنا وحسين وعلي نسكن بجوار بعضنا، تعرض بيتي للقصف أول مرة ما تسبب بدمار جزئيّ فيه، أما في المرة الثانية فأدى القصف إلى دمار منازلنا نحن الثلاثة، وكان أخي حسين وعائلته في منزلنا حينها، كان واقفاً أمام المنزل عندما ألقت المروحية براميلها، فاستشهد هو وزوجته وابنته الصغيرة، وترك لنا أربع بناتٍ أكبرهن لا تتجاوز الرابعة عشر من عمرها.

لم تكتفِ الطائرة بقتل أخي وزوجته وابنته، وبينما نحن في ملجأ قريب من الحي، دمّرت بيوتنا نحن الثلاثة، خرجت من الملجأ لأتفقد الوضع فلم أرى سوى الدمار والغبار، عدت ولم أستطع إخبارهم بالأمر بينما تتعالى أصواتهم مطالبةً بالعودة للمنزل، وكان الليل قد حلّ والبرد يزداد ولا سبيل لنا إلا البقاء في مكاننا.

تابع «أبو محمد» والغصّة تملؤه: «لم يتبقَ لدينا شيء، منازلنا أصبحت ركاماً، وكل شيء بداخلها بات رماداً، أين سنذهب ومعنا أربع طفلات أصبحن في ذلك اليوم أيضاً يتيمات الأبوين!، فقدنا أخينا وذهب تعب السنين كلها، ما أصعب أن يأتي الليل ولا تجد لك مكاناً تنام فيه!، وبعد أن كنا نعيش بسلام وسعادة ومع بعضنا البعضً».

واستطرد: «قام أهالي المدينة ببناء منزل متطرف ومتواضع لعائلتي، عبارة عن غرفة وملحقاتها، لا تتسع لنا ولبنات أخي، اللواتي ذهبن للعيش في بيت جدهن، بينما سكن أخي علي في منزل لأحد الأهالي».

«سامر» ابن أبو محمد، ذو السبع سنوات، يقول: «اشتقت لمنزلنا ولحيّنا ولأصدقائي في الحي ولألعابي، أريد أن أعود إلى منزلي، وألعب مع أصدقائي، وألعب بألعابي، متى سنعود؟».

أما «أم محمد» فقالت: «أحسّ بالغربة والوحدة في منزلنا الجديد، الذي قد نضطرّ لمغادرته في أيّ لحظة كما غادرنا منزلنا فجأة، كنا نعيش مع بعضنا لا نحسّ بالوحدة أبداً، وكان لنا جيران نعيش كالأهل، وكان لأولادنا أصدقاء يلعبون معهم طيلة الوقت، والآن نحن وحدنا في منزلٍ بناه لنا فاعلي الخير، وأفكارنا مشتّتة، وكلّ يوم نعيشه أصعب من سابقه، فمن يعيش في منزله ليس كمن لم يبقى لديه شيء».

«إسراء» 11 عاماً، ابنة أبو محمد، تقول: «أصبحت بلا أصدقاء، اشتقت لصديقاتي في الحي، وبات صوت الطائرة يشكل عقدةً بالنسبة لي، بمجرد أن أسمع صوتها أحسّ بالخوف والفزع».

أما بنات الشهيد «حسين»، نور وفاطمة فقد عبّرن بطريقتهما عمّا آلت إليه حالهما، «فاطمة» 14 عاماً، ابنة حسين الكبرى قالت: «فقدنا كل شيء أبي وأمي وأختي وحتى بيتنا، وأصبحت تربية أخواتي مسؤوليتي، عشنا لفترة في بيت عمي، ثم طلبت منه أن نذهب للعيش عند جدتي التي تعوّضنا عن حنان أمنا.

تبكي فاطمة بحرقة وتتابع: «ضاع كل شيء، لا أستطيع نسيان اجتماعاتنا وسهراتنا عندما كان أعمامي يأتون إلى منزلنا، ووالدي وحياتنا وأصدقاؤنا، ولو للحظة واحدة».

لنستمع لأطفالنا..
الرض النفسي لدى الأطفال السوريين جراء الحرب

يتعرض الطفل السوري لأقسى أنواع الصدمات في تاريخ البشرية وذلك لانعدام الأمان سواء في منزله ومدرسته أو في الشارع أو بسبب تعرضه لمشاهد العنف الشديد كالقصف والقتل إضافة الى خسارته لأحد والديه أو إخوته ناهيك عن النزوح والتشرد والفقر.
تُعرّف الصدمة النفسية بأنها أعراض ما بعد التجربة الصادمة, تحدث نتيجة لتجربة أو حدث صادم مما يسفر عنه الخوف الشديد أو الإحساس بالعجز وهي حوادث شديدة أو عنيفة ومؤذية مهددة للحياة, بحيث تحتاج هذه الحوادث إلى مجهود غير عادي لمواجهتها والتغلب عليها أي أنها رد فعل طبيعي لتجربة غير طبيعية.
كما تعرف أيضا بأنها «حالة فجائية طارئة غير متوقعة، تكون فوق طاقة الإنسان، تؤثر عليه، بحيث يكون عاجزا عن التأقلم مع الواقع.

ياسمين محمد

ماهي الصدمات النفسية وكيف نعرف ان طفلنا مصاب بها؟

يقول الطبيب النفسي مضر حبار لزيتون «إن أهم الاضطرابات النفسية شيوعا لدى الأطفال السوريين هي: اضطراب الرض ما بعد الصدمة واضطراب القلق العام والتبول اللاإرادي.

وعن أعراض هذه الصدمات يقول حبار:

من العوارض زيادة التعلق بالأبوين على نحو ملحوظ حديث العهد هو دليل صدمة قلق لدى الطفل، منها أيضا قضم الأظافر ورؤية الكوابيس.

ويضيف الأخصائي في العلاج والصحة النفسية الدكتور «خالد الضعيف» لزيتون عن بعض الأعراض الأخرى:

يعتبر الخوف والقلق من أهم العوارض التي تظهر على الطفل فاليقظة زائدة تسبب صعوبة في التركيز وصعوبة بالنوم تسبب عصبية زائدة في حال استمرارها مما تؤدي الى تدني قدرة الطفل على التعلم. كذلك تظهر حالة من الإنكار على بعض الأطفال الذين يميلون الى إنكار الواقع مثلا كان يؤكد طفل فقد زميله على عودته غدا الى المدرسة كبعض الحالات التي ظهرت بين أطفال قرية حاس.

كما يمكن أن ينمو الشعور بالغضب الشديد والعصبية الزائدة في البيت أو المدرسة وقد يعاني من صعوبات في التركيز والتعلم تظهر عند الأطفال في المدارس أثناء الحروب.

وتتراجع مقدرة الطفل على الانسجام الاجتماعي في محيطه ويتعرض لصعوبات اجتماعية تتعلق بتغيير التصرفات والمشاعر والأفكار عنده وبالتالي عدم القدرة على التفاعل بشكل ايجابي.

محاذير تزيد من عمق الصدمة

يحذر الطبيب مضر حبار من رؤية الطفل لأحد والديه أو كليهما في حالة خوف فهو يفتقد بذلك الملجأ الآمن والطبيعي الذي تعود عليه لحمايته وقت الشدة ويجب أن يعلم الآباء أنهم القدوة بالنسبة لأبنائهم ويفترض بهم أن يسيطروا على مشاعر القلق والخوف أمامهم وان يبثوا روح الأمل والشجاعة فيهم، وقيل قديما «من شبه أباه فما ظلم»، كما يشدد حبار على الأبوين في عدم التحدث أمام الطفل عن الحوادث المؤلمة التي تعرضت لها الأسرة في ظروف الحرب الحالية وعدم معاقبة الطفل جسديا في حالة التبول اللاإرادي.

ويشدد الطبيب حبار بان الإطار العام لكل الحالات يقضي بتأمين الأساسيات للأطفال وأهمها الأمان ومن ثم المعيشة من توفير الطعام واللباس والدفء، كذلك التعليم.

كيف أساعد طفلي على تخطي صدمته النفسية

ينصح الطبيب خالد التركيز على التعامل مع الطفل بطريقة غير لفظية، نتيجة لانخفاض قدرتهم على التعبير فهو لا يعرف كيف يعبر عن آلامه وما يعانيه بصورة كلمات أو ألفاظ لغوية

ويضيف: علينا أن نظهر له التقبل الإيجابي غير المشروط لان الطفل يشعر برغبتنا في مساعدته كما يجب أن نبتعد قدر الإمكان عن اقتحام الطفل في صورة مباشرة في اللحظات الأولى للقاء، أي علينا أن نترك الطفل على سجيته في أن يتحدث عما شاهد أو ما حدث وعلينا أن لا نجبره أو نلح عليه بالحديث عن شيء ما، ومن الواجب علينا أن نعطيه الأمان والثقة عن طريق لمس يده أو التربيت على كتفه، وأن نسمح للطفل إكمال حديثه حتى ولو كان غير منطقيا.

يحدد الطبيب مضر أهم النصائح التي يمكن للأهل القيام بها أثناء تعاملهم مع أطفالهم المعرضين للصدمات بالاتي:

- يجب أن نستمع لأطفالنا «الاستماع الجيد للأطفال وكلما كرر الطفل الحديث عن الصدمة من خلال «التفريغ الانفعالي «كلما قل تأثيرها عليه في المستقبل والتحدث مع الطفل بطريقة تدخل الطمأنينة والأمان إلى قلبه واستخدام أي إجراء يعزز ذلك، ومن المهم محادثتهم قبل النوم عن أفكار ايجابية وعن طموحاتهم وأمالهم والإيحاء لهم بأن المستقبل أفضل، مبتعدين عن ذكر أسباب الصدمة.

-2 على الأهل الإجابة على أسئلة الطفل بصدق وبساطة وأن لا نخفي عليهم الخسارة التي لحقت بهم بل نحفزهم على تجاوزها.

-3 يجب على الأهالي تقليل تعرض الأطفال الى الأعلام وخاصة الإعلام التي تظهر به مشاهد العنف والقصف لأنه الطفل يستعيد بذاكرته الصدمة، ويعتبر الطبيب «الطعيف» أن سهولة الوصول لوسائل الإعلام ومقاطع الفيديو عن طريق الإنترنت التي تغذي العنف لدى الأطفال أو تثير الرعب لديهم من المشاكل التي لا يتنبه لها الأهل ويقول:
«للأسف الآباء يتصفحون المواقع الالكترونية ونشرات الأخبار غير مبالين بشعور أطفالهم أو غير مدركين بتأثيرها عليهم، وحتى العاب الأطفال الالكترونية فكلها تحاكي الحروب والقتل والعنف».

-4 مشاركة الأطفال بتنفيذ بعض الأنشطة البسيطة كأن يشاركوا أهاليهم بالعمل أو مرافقتهم لذويهم للتسوق وتمكين الطفل من ممارسة حياته الطبيعية قدر الإمكان وزيادة الاهتمام بفعاليات كانت في السابق أمرا «روتينيا» مثل الاحتفال بعيد ميلاد الطفل والخروج في نزهات أو للتسوق أو لزيارة الأقارب.

رواية «الجوخي» للكاتب عبد العزيز الموسى، تمت طباعتها بدار الشموس للدراسات والنشر والتوزيع عام ٢٠٠٢.
وتعيد زيتون نشرها .. الجزء (٤)

يتهيأ عادة لإياس الذي هو البك ومراد وارياض والقائمقام المتقاعد أن يجتمعوا ليلة الجمعة والأحد من كل أسبوع عند صديقهم المحامي حسان.
أطلق مراد على مجموعتهم «شلة الخيمة» لتأكيد سمة البساطة والصفاء وبراءة ردود الأفعال المنفلتة العفوية البدوية المبرأة من لوثات وتثعلب الأسلوب الحضاري.
يفترشون باحة دار المحامي الواسعة الظليلة المسيجة بالياسمين المعرش على الجدران وحول بركتها الأنيقة في الصيف.
البركة التي تتوسط المكان مرصعة بتوريقات نادرة تزيد من متعة تملي دفق مائها وتفوح روائح زكية فوق أبهاء الدار العامرة والحضور الذواقين المحترمين كما يردد مراد.
حسان، يستطيع كرجل حاذق محنك أن يخفي رغائبه ومواقفه عبر النقاشات والمشادات الكلامية متحصنا وراء ابتسامة مرحبة.
في حالات نادرة، يتدفق لسانه بالنشاط إذا حضر وجه غريب عن شلة الخيمة مدللاً عن هدوء مزاجه وكرم ضيافته.
إذا غالى في تكلف الرحابة والكرم، فليدفع آثار الاستياء والمشاعر اللئيمة التي تتعامد في داخله كما يتهمه مراد، بالسماحة والابتسامة الصفراء يصرفها قبل أن تشي بجوانياته وتفضحه.
ويؤكد له مراد بدعابة أنه مهر من يصفد كلاباً نابحة في أعماقه بكل هذه المغالاة في الأريحية والحلم.
على أن حسان، ومهما تحايل، فلن يستطيع إخفاء الاستعلاء الموروث عن أمه التي يصر أنها تركية الأصل، وكشأن من كان مثله، فهي ما زالت تتمسك ببقية مباهاة متعالية بائدة خاصة نحو زوجها لتقزيم همته كموظف أميري محدود ودون أن تمنحه أي اعتبار.
هو أهم الأسباب المضمرة وراء سر العلاقة الوطيدة مع صاحب المغارة لمشاركته نفس الأرومة من جهة الأم، لكن أم إياس بك المغارة أجرأ في الاتهام المشنع بكل من علك الضاد فوق هذه الأرض النجسة من وجهة نظرها.

حسان متفهم لهذه الأبعاد، لهذا يجاهد ليضفي على وضعه نضارة وترحيباً بالجميع ويتقبل عن طيب خاطر دعابات مراد الواخزة المتهمة له في أصوله.
لا لبس أن أم إياس تركية بدليل ملكيتها حتى الآن لعقارات يستثمرها صهر إياس في تركيا، أم إياس تذكر دائما بحس متأنف وفوقية موروثة من سيطرة الترك على البلاد فترة طويلة، ولتؤكد مشاعرها المناكدة لهذه الأرض، فقد زوجت ابنها الوحيد إياس هذا بامرأة من جلدتها.
وعلى ذمة مراد أن والد إياس كان شماساً في كنيسة ثم أسلم ليستجرها للزواج والتنعم بأملاكها.
يضحك ذوو الخيمة لهذه الاستنتاجات، ويعقب هل تشكون؟ ها هو إياس بينكم، تلمسوه، أمه هي الأخرى لم ترض بالزواج منه إلا لأنها من يهود الدومنة من أيام السلاطين، اسألوني عنهم، تلبسوا الإسلام ولكنهم لا يوادعون، قلت لكم هاكم الدليل على ما قلت وهم حتى اليوم في تركيا وغير تركيا أصحاب الشأن.
زوجة إياس التركية أيضاً أقامت مع زوجها سنتين في حماه ثم سكنت حلب مع أم إياس . كانت زوجة إياس الموردة النزقة تغذي سخطها على الدوام بما تمرره حماتها على سمعها من عبارات مترفّعة مستخفة بالناس والمكان، وتكرر بملامح ممتعضة هل هذه مدينة؟ هذه مزبلة.
تشفق أم إياس على نفسها أنها احتملت وحدها كل المعاناة مع هؤلاء الهمج الرعاع حتى زوجت ولدها بمن يشاركها هذا الهم، ومن فورها أوفدت حفيدها عبد الله الصغير ابن إياس ليعيش لدى خالته في ضواحي أضنه.

وبقليل من المحاكمة، وبكثير من الطباع الحامضة، المعادية، أعلنتا هي وكنتها لما زارت ولدها في حماة، أنهما لا تحتملان هواء هذه المدنية، وأكدتا أن ولادة ابن إياس الثاني مشلولاً وإصابته بحمى دماغية إثر ولادته بعد الحقنة المضاعفة المفعول التي أوصت عليها الزوجة قبل الوضع بإلحاح وبتواطؤ مع الممرضة لتخفيف آلام الوضع التي عانتها مع عبد الله.

هو جزء من لعنة هذه المدينة لهما، وطبعاً لن تصطبر أم إياس ولا زوجته بكل جلالهما أن تكونا أماً وجدة لطفل مشلول وفي حماة ! لما تعاظم حسهما الحانق بالغبن وتحت ذريعة أنهما ساعيتان لتطبيبه عند خاله في أزمير، جمعتا حوائجهما وسافرتا.

لم يتأس إياس لمغادرتهما، لم يقلق، لم يشجعه أهل الخيمة على استرضائهما، بل يغازله وهم ملتذ من حين لآخر أن زوجته لن تعود لحماه , وكلما طالت فترة غيابها تأكد له هذا الوهم أكثر.
مراد، لا يسكت، يتحرشون به إذا اصطنع الوقار، يستمتعون أن يشرّحهم تحت غلالات ساخرة، يلتذون، كأنما ينظفهم من قذاراتهم، يقوم بمهمة عامل مجارير.
بل بات من سمة الحيوية والرغبة الأكيدة لاستمرار المتعة ألا يخفي مراد أية فكرة تخطر له، ومهما كانت جارحة، دون تحفظ.